

الاماني والممنه في حديث
قبول وورد منه
لما افقه الفقير الى ربه المتعال
محمد عثمان جلال

وانت ينظر الى جانب الغني • اذا كانت العلياني جانب الفقر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الممنوع لقصص في كتابه خير تذكره ونشره كرم من
غيرنا سيما ونفكره الذي ابتلى عباده الاخيار واعد لهم جنات
نجرى من تحنها الانهار جزاء لهم على صبرهم وعلو لشرف
قدرهم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامين وعلى
آله وصحبه اجمعين وبعد فلما كانت كتب الادب لازمة
للمدارس الاولى لتأليف قلوب التلامذة الابه وكما كان
اسهاما ما يدخل عليهم بالحكايات والقصص المسليات اخترت
كتابا من اشهر ما في اللغة الفرنسية وترجمته باللغة العربية
وهو في هذا المعنى قدوة ولمن اراد ان يتأديب نفسه لما احتوى

عليه من الحكم والامثال والمعاني التي هي كالسحر الخلال
 والماء العذب الزلال فافرقت في اكواب من الالفاظ المتبلورة
 واخترت له ما سهل من الكلمات النيرة لتكون قطوفه دائية
 ومحاسنه عن الزينة غائبة واخرجته عن الطباع الافرنجية
 وجعلته على عوايد الامة العربية وما بدلت غير الاسماء وقرنتها
 بما يلائمها من لذيذ المسمى وتركته باقية على ما فيه شعر
 حملت خاتم فيه فصا زرقا * من كثره اللثم الذي لم احصه
 لولاه ما علم العزول فياله * من خاتم نقل الحديث بنفسه
 فن تصفحه بين القعد راي القعد على القعد ومن قاله بمقياس
 للمقابلة وطبق آخره واراه راي فذا قرن بتوأم وصلم ان من
 ترجمه فقد ترجم ثم كتبه على ورق الجنة وسميته قبول ووردجته
 لمقارنة مخرج الاسمين ومطابقتها في لفظ اللفظين واهديته الى
 صاحب السعادة ومعدن العز والسيادة الجامع بين السيف
 والقلم نجل الخديو الاكرم سعادة افندينا محمد توفيق باشا
 لازل سنائه في سماء المجد طالما وبرق ذكائه في سحاب الادب
 لامعا ولا برحت ايام الخديو في جبهة الدهر غمرا ووجوه النجالة
 في عقد الزمان دررا

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتى تبلغها الفين آمين

﴿ فوائد الكتاب ﴾

ان لهذا الكتاب فوائد عديدة وطرائق مفيدة منها معرفة
 تخطيط البلدان ووصف الانهار والخلجان ومنها الوقوف
 على خواص النباتات ومعرفة سائر اخضرارها وتربيته
 المقابل منها للتربية وجعل البعض منها للثروة والبعض للتغذية
 ومنها خدمة الاشجار وناليفها في سائر لاقطار وغرسها
 في اوانها وتمكينها ما يناسبها من مكانها ومنها الاصلاح على
 سائر الامم واصطلاحات العرب والجم ولم يخل فط عن
 الرياضيات وذكر ما يناسب من الطبيعيات وما يستعمل
 من الادبيات ودقيق الفلكات ورقائق الابيات ما ترك من
 البديع شيئا الا ذكره ولا معنى في معضل المسائل الا فسر
 يعلم الامانة والصدق ويرشد الى العدالة والحق أف من
 غرامياته ما اعذبها وابه اصبا بانه فما اطربها يدير امور العائلة
 ويصون الحر عن المسئلة ويبدل النصيحة لمن يراها ويظهر
 الفضيلة لمن يريد ان يراها ان مدح الدنيا احبها للقلوب وان
 ذمها اظهر فيها العيوب أوتكلم على الزهد مالت اليه الغواه
 وتطابته الملوك والولاة بضحك ويبكي ويخطب ويحكي ولا يسرد
 ذلك الا في سياق القصص ذاكرا لها بحسب المناسبات
 والفرص يسميها المرید بشهيه ويقبلها بصفتان فتهذب
 اخلاقه وتضي افاقه وتورث قلبه الرأفة ونفسه السكر والعفة

فمن قرأه وكنه ونظر فيه وتامله خرج منه متشوقا إليه
واكثر من ثناء عليه

﴿ قبول وورد جنة ﴾

قال الناقل لهذا الخبر الصحيح والقول القصيح بينما أنا في سبيل
على كفي نهي وراحني وإذا بجزيرة من جزر عدن فريضة
فتزلت فيها على الجهة الشرقية فرأيت نخب صحاح من هذا
المحل بمنا يقال لها مينا الواس أرضا كانت فلتت لبعض
الناس ورأيت بها اثنتين صغيرتين في وسط موضع كأنه
وصكان الخوص محاطا ببعض صخور طوال ولم يكن لذلك
الخوص أفقحة واحدة تميز إلى الشمال ويرى على العشتين
جبل يسمى بالخرطوم منى زرات مركب إلى الجزيرة ورفعا لها
الإشارة علامة على القدرم وكان في سفح الجبل على مقدمه
مدينة يقال لها مينا الوى بوادي عبادوس ثم مسجد الابنوس
وكان هذا المسجد موضعا في مكان مرتفع من الصخرى يراه
القادم مشرفا بما حوله من الماشى الخضرا وعلى البعد منه
اجمة كبيرة معتدة إلى أطراف الجزيرة ثم على شاطئ البحر
جوز يسمى بالذنين وعلى يساره رأس يسمى رأس المسكين
ويرى في ذلك حركة البحر وكونه وكثيرا من الجزر
الغير مسكونة ويرى سطح الجزر مساويا لسطح الماء ثم رأس

المترصة نفعاً الى عنان السماء فاذا دخل احد في فحة الحوض
نظرا شياً عجيبه وسمع اصدااء الجبل تعكس دوى الرياح الواقعة
على الغابات القريبه أو سمع البحر وتلاطمه والموج وتصادمه
وان كان تحت سفح العشرة نين فلا يرى الا صخورا كالاسوار طالعة
في اصولها وخذلاها الاشجار من علوها بتقطع السحاب عليها
فتتساقط الامطار بين يديها فتدير بالفرح وتنصب اعلام
قوس قزح ثم تجتمع المياه في كل غدير وتكون منبعاً لنهر
يسمى بالتشوير ومن نظر الى محيط تلك البقعة شهد اللطف في الهواء
والصفاء في الماء والرقية في الاشياء فبايكاد يسرع صوته للخيال
الطالع على المضربات ولا ينظر غير سهام سهفه الرافعات وان
كان اليوم صاحباً صباراً فهو يبطن الحوض صاحباً غير
ان الشمس لا تصل اشعتها اليه الا وقت الزوال وعند ظهورها
لا تشرق الا على رؤس الجبال فتكون كالذهب على حواشي
الارجوان أو كالساج على رأس السلطان

قال وكنتم احب ان احضر في هذا المكان وانفسح في تلك الوديان
لا تمتع بالمنظر الجميل واذوق لذة انفرادي بهذا الشيء الغريب
وبينا انا جالس ذات يوم بالقرب من هاتين العثمتين انظر
في رسومهما وانفكر في امورهما واذا بشيخ سري وحف بجاني
وكان على عادة اهل بلده لا سابقاً صغيراً وسراً كبيراً خالفاً

فعليه ما سكت عني بن يديه ما شبا مع الانكسار عليه ظاهر
 الحشمة والوقار فسلمت عليه فرد علي السلام وخصني بالعبية
 والاكرام ثم امعن في النظر ودنا مني وجلس عني الى الارض غير
 بعيد عني فلما استأنست منه غاية الاستئناس وعرفت انه من
 خيار الناس قلت له يا بني اتدري بخبر هذه الاماكن وكيف
 كان حال تلك المساكن فقال يا ولدي ان هذه الرسوم وهذه
 الاطيان كانت معمورة من قديم الزمان وكان بها عائلتان
 غفل الدهر عنهما زمانا فذاقنا كؤوس الهنا ولهما قصة تاخذ
 بجميع القلوب وتطلي هدية من الحب الى المحبوب امكنما
 هنا في ارض منقطعة خافت بحار منسعة ومن ذاب سأل عن
 قصة اناس بجهولين وعن مورد الامم مبعدين لم تعلم ان الناس
 لا تسأل الا عن قصص الملوك الاكاسره وسير الرجال الجبابره
 عني انها لا تنفيد الا القسوه ولا تصلح ان تكون للمروءة اسوه
 فقالت له وحق من يعلم بما في الصدور انك تلجج بربا الامور فان
 كنت تدري بما سالتك عنه فبالله عليك الامام كنتني منه فان
 الرجل وان اعماه الجهول واصمماه المال والاهل لا يزال يرتاح
 لقصص الصالحين وخبر ماجرى للشهداء والتقوى فلما راى مني
 الاحتياج وكثرة الطلب من الافصاح استجيب قريحته وحضر
 فذكرته وقال في الخاتمة لا تأني في ذنوبك خذ يا ابن الكرام عني

سكان رجل من اهل الى الجزائر واسمه الحاج عبيد القادر
 مكث مدة يتطاب الخدم في بلده فلم ينحصل على قصده وآل
 امره الى ان اتى هذه الجزيرة بعد كثير من التعب والخيبة
 وكانت معه شابة تحبه ويحبها واطاب قربه ويطاب قربها
 وكان قد تزوج بها بالخفية عن اهلها لانه كان فقيرا واهلها
 اغنيا وانت تعلم ان اغلب الاغنياء غيبا فلما اتى بها الى هنا
 تركها وسافر بقصد التجارة ليدخر اذخاره ويرجع مع جم من
 العبيد ويقال بهم قطعة من ارض هذا البريد وكان سفره
 الى جزيرة مدغشقر اشد شتري منها الفاس السودان ثم يرجع
 هنا للاستيطان فحين نزل بها الصابئة المنية ولم يبلغ امنية ولقد
 تصرفت موجوداته بعد موته كما ينصرف كلام المرء بعد نفاد
 صوته وبقيت امراته في هذه الجزيرة حبلى لا تملك مالا ولا اهلا
 ولا هي تبغى الا زواج غير زوجها الذي كانت تحبه وكان يحبها
 فتوجهت مع جاريتها للزراعة بقصد المعيشة لا للتجارة ولا البضاعة
 ولم تختتر في هذه البقعة محلا خصبا ولا مكانا مستويا رحبا
 لتكون قريبة من نبط التجار بل مالت الى العزلة والاقتصار
 فبزت فوهة الجبل واتخذت هناك ابعده محلا لتعيش بعيدة
 وحيدة غنية بالعزلة سعيده كالطير يعزل عشه مخفيا ليكون
 نسبيا منسيا وهذه سعيبة وعريضة في ذوى النفوس العريضة

بألفون الا ما كن المقصرة ولو كانت موحشة فقفره كانوا هم
 يزور في العزلة حصونا تدرأ عنهم صروف الزمان وتكلاهم
 من ثقاب الحسد ثان وسيدان هذا الطبيعة يسكن جاشهم
 ويؤنس استيجاشهم

ولقد سحر للذهاب حبيبة من حذوها وقريبة من غير اهاها
 وذلك من رضى من الدنيا باليسير فقد هان عليه العسير
 ولقد عز من قمع وذل من طمع وذلك انه كان في هذا المحل
 امرأة من الطبيبات وست من المخدرات ولدت في الغرب
 من عائلة من فقراء الفلاحين وكان يحبها شاب من ضباط
 الملاحين فاوعدها ان يتزوجها ولما قضى وطرا منها تركها
 ولم يسأل عنها فعزمت على الخروج من بلادها مع عبيدها
 وولدها وتركها اهاها ودارها وذهبت الى بعيد البلاد توارى
 عارها فأتت لتلك الجزيرة واستخدمت في المذراعة عبيدها
 مرجان وكان اسم ابنتها قبول واسمها افعون

وانرجع الى الست بدور فاتها مشيت ومريم جاريتها وراها
 وسلمت قيادها الى انشأها وبراها وأتت الى هذا المكان
 فوجدت فيه اقحوان فحصل لها مزيد الفرح وزال عنها
 الهم والترح سجا وقد قابلتها بابتسام واكرمها غاية الاكرام
 فكثرا بعد ثمان بما اصحابهما ويحكبان لبعض ما جرى لهما

ثم أشارت لها أقعدوا ان الى عشتها وهي تبكي وتقول هي لي ولك فاما
 رأيت منها هذا الا كرام ضمنها وبين عبيد اقبانها وقالت انها
 ان الله تعالى أراد لنا بالسعادة وصككت لنا الحسنى وزبادى
 حيث اكرمك يا كرام مشواى والتكرم على بماواى فلقد رايت
 منك ما لم أراه من الاقارب وان كنت بالنسبة الى من الا جانب
 قال وكان لي معرفة باقبحوا من مناجات بهذا المسكن وكانت لي
 على بعد الدار بمنزلة الجار مع أنه في المدين يكون الرجل مجاورا
 لاهله وأقاربه ويكون جانبهم بجانبه وهم عنه لا يسألون
 وعليه لا يصحون ولا يمسون وذلك بخلاف سكان النواحي
 وأهل القبائل في سائر النواحي فانهم على بعد دارهم وشطاط
 منارهم يتوددون لبعضهم بالعبادة ويسعون بينهم بالاعانة
 والافادة سيما لما أخذت التجار فجمع بين انهم ودوسكان
 هذه الجريبة صار الجار له على جاره حق الجيرة

ولما ان بلغت ان جارتى انتها رفيقه وانها غايبة من الاحتياج
 والضيقه أتيت اليها من باب المطلة وعلى سبيل المراساة
 والتعلل فلما وقع بصري عليها توسمت الخبيرين عينيها الا ان
 الحزن كان عليها ظاهرا لمن يرى وكانت مشرفة على الوضع وصارت
 تحتاج للمساعدة بالطبع فأشرت اليها ما حبا في منفعتها ما راعاة
 لاولادها من بعدهما ان يقتسما الخوض ويزرعانه أولى

من تركه وهجرانه كي لا يأتي أحد الا جانب فيه ملك عليه ويجب
 قومه اليه فوكلاني بانقصة تقسمته بعد ان ضبطت قياسه
 واحكمته وجعلت قسما يبتدأ من الصخرة ذات السحاب المنهر
 والماء المنجر ممتدا الى القصة العليا من الهضبة محتويا على
 عيون ومجار ومذبه وجعلت القسم الثاني في الجزء الاسفل
 يبتدأ من النهر الذي منه في القسم الاول ويمتد الى الفتحة التي
 نحن على الان ثم نصب في البحر كمية الفدران وهو كم ترى موسى
 بدروب من المراعي طرية محتوية على قطعة ارض لطيفة
 الا انها لم تنس احسب من الاول لانها في زمن الامطار تكون
 مأوى المياه لراكده فادحا الصيف يبت وصارت جامده
 بحيث لو لم الامر قطع محدد لزم استعمال المطاط الحادة
 والالات الاخرى وبعد ان مرغت من القسمة قلت لهما
 لا تخصص الا بالمساهمة لعدم وقوع نزاع ارضيانه فوقع
 لست بدور سهمها على القسم الاعلى واخذت اقحوان القسم
 الادنى ورصبت كل منهما ايا أرضها وما قسم الحظ لهما الا انهما
 اوصياني أن لا أقسم بينهما السكن قصدا بان يأنسا ببعضهما
 وان يتعاونوا في العمل على قضاء حوائجهما لكن لم اكل عشة
 منفصلة وان كانت في الوضع بالآخرى متصلة وكانت عشة
 اقحوان على حدود أرضها فبنيت لست بدور بيتا يقرب منه

في طينها بان قطعت أخشابها من الجبل وجابت خوص البحر
على عجل وانصببت قوتها ورفعت دعائه فجاء بعون
الله فسيحاً وسكناً لهما ثم أصلحت بيت أفحوان وهندد مته
واحكمته رانته فانظر كيف فعل الدهر بهما فلم يبق منهما غير
رسومهما

شعر

وكانه لم يبق رسم ديارهم * إلا ابذكركني بأيام مضت
كانت لبا لينا قصاراً بالهنا * نقضى عليها الدهر حكماً فانقضت
ومثله

ثم أنقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها ركناً منهم أحلام
ثم ماتم بناء العشنتين الأوجاء الست بدور الخاض فوضعت وأسفر
نقاسها عن بنت كالشمس إذا طلعت فدعتني أن أعوذها وأرقها
وبما شئت اسمها وكنت سميت ابن أفحوان قبول فقالت لي
أفحوان أما أن تقول وأما أن أقول فقلت لها قولي بالنبابة عني
وبما شئت فسمي فسمتها وردجته ودعت لها بالمني والمه
وقالت جعلها الله من أحسن البنات وأطيب النساء الخدرات
فاني مأسأ بخني الالمافرط في عرضي ثم ماتم نقاسها رذهب
عنها ياسها الاوكان قد تم اصلاح المسكنين وحسن الطام
هاتين العشنتين وكان تمامهما على يدي فاني بذلت مع سرجان

فيها غاية جهدى وكان مرجان هبداً أقحوان فى السن متقدما
 صحيح البنية سالما خبيراً بالامور عليهما صبوراً على العمل مدبباً
 يلح كلما رآه من القسمين قابلاً للزراعة لينتفع مما يرى فى البقع
 النفاة فكان يذرى فى كل بقعة ما يوافقها ويضع فى كل طينة
 ما يرافقها كالذرة والدخن فى القطع المتوسطة الخصوبة وكالقمح
 فى الجهات الكثيرة الذوبه وكالارز فى محلات الماء والرطوبة
 وان رأى سهولة تحت الاجار يزرع فيها طائفة القمح والخيار
 فانه كان يكسوها بأوراقه وبضى عليها بنواره وأشراقه وكان
 يزرع البطاطس فى الطين اليابس والقصببات السكرية
 فى الاراضى القوية وزرع البن على الاكم العالية فاستغل منه
 الحبوب الغالية وغرس الموز حول العشنتين فكان ينتفع
 منه بشيئين أكله المتراكم وظله الدائم ثم زرع الدخان فى وقائه
 قصداً بنسبته ونسابة ساداته وكان يذهب الى الجبل فيأتى
 بخشب الحريق ويكسر الاجبار ليساوى بها الطريق وكل
 ذلك كان يفعله بالمعرفة والهمة لانه كان خالص القلب فى خدمته
 وكان لا يخرج عن طاعة سته أقحوان فى أى زمان وأى مكان
 وما وضعت الست بدور زوجته يجار بينها فصار يجها كسته
 ويجهد فى خدمتها وكان يحب زوجته سرىم حباً جما ويألم لها
 المنافع لما وكانت سرىم قد ولدت فى جزيرة مدافشقر الكائنة

في البحر المحيط الاكبر وكانت عند أهلها ذخيرة فعلموها صنائع
 كثيرة منها صناعة الاسيات وحمل المقاطف والمشاة
 فكانت تذهب للغابة في كل يوم وتأتي بميسان الخبز
 وخصوص الدوم وتصنع ما يبدلها من تلك الاصناف وتخبئها
 غاية الانحاف وكانت ماهرة نظيفة سريعة في الخدمة خفيفة
 تقوم بتحضير الطعام وتربية الدجاج والحمام وكل ما رأت شياً
 يزيد عن المؤنة كانت تذهب به الى المدينة فتبيعه مع لأماته
 وتعطي ساداتها أثمانه وبالجملة فقد ذكرت لك عدد هاتين
 العائلتين ثم أزيدك كتاباً ومغزاً بين ان تكون ممن علم بالحال وكفى
 الله المؤمنين القتال وأما الصاحبتان السيت بدور وأقحوان
 فكانتا يغزلان القطن في اليوم والليله ويصرفان ثمنه
 في لوازم العياله وككانتا لا يملكان من اللوازم الا ضروري
 الحطام حتى انهما كانتا يشيان في بيوتهما حفاة الاقدام وكانتا
 لا يبتعلان الا يوم الموسم والزينة أو عند احتياج دخولهما
 الى المدينة وكانتا لا يدخلان المدينة الا فيما ندر ولا نوم على من
 اعتذر ان كان ذلك خوفاً من أن يزدري أحدهما على حقارة
 ما يوسهما لانه كان من القماش الازرق العتيق الذي هو عادة
 من ملبس الرقيق واثن كان حظهما من الناس الاحتقار
 وعدم الاعتناء والاعتبار فكانتا عند العودة الى مساكنهما

يبيان فهمهما ما يسرهما وذلك ان مرجان ومريما اذا نظرا ماء على
البحر قد قبلين اسرع لقاتهما على الرأس والعين واذا احسنا
العشمتين رأياهما نظيفتين مرتبتين ونظير فيهما خيرا
من ثمرة شغلها ورأيا خادمتين محبتين لهما

ثم لما اضطرتهم المصيبة صارت إحدى المرتبتين
حبيبة فأخطا سوبه فأتى الكلبة والجزئية واشتد
في المنفعة والفائدة بحالته على المائدة انما ذاهبا
الفكر فيهما مضى وحضر بيالهما ما حكم به لفضله
عليهما النسب سليم والرضى وانصرفا من الحالة الصبيحة الى
العيشة الراضية كالاهب اذا لم يجد في الارض وفودا صعد
الى الجوصودا

وكلما نظرا الاولاد هما اللذين هما ثمرة فؤادهما والسبب
في سوء حظهما يزاد كل منهما بالآخر حبا وبانفاق جسمهما
وقلبا فكأنما يتلذذان بغسلهما معا ويشركا في الهوى
مضجها وطالما تبادل في الرضاعة بالالمان وتناوبا لهما
بمضغ الطعام بالاسنان حتى كانت الست بدور تقول
لصاحبتها يا أخوتي كل مناله ولدان وكل من أولاده أمان
وكان مثل الولدين على يدهما حين كانا يتبادلان اللبان أمهاتهما
كشجرة فيها فرعان نبتت عليهما ثمرة كان ان نطعت ثمرة من

فرع وأثبتها في الآخرة على وجه النطعم أمسكه بنقد بر العزيز
 العالم هذا ولقد تحدث أمهاتهم ما بز واجههما وهما في المهد صبايا
 حفايا عرابا وكان الحديث بز واجههما المجرد التسليمه ومن باب
 التفاؤل بوقوع الامنيه ولمناسبة ذكر الزواج كانت تبكي أقحوان
 لما فرطت في عقده والاخرى تبكي على ان الزواج جاءتها المصيبة
 من بعده وعلى ان أحدهما ابتغت زوجا أعلا منها قدرا والاخرى
 لان زوجها كان دونها نسبا ووفرا وكانت مع ذلك بتركان الهم
 بالنسب ان وباولادهما يتسليان فيقولان في غد نصير أولادنا
 أسعد منا حظا وأحسن منا معني ولفظا ان يجتمعان بين لذة
 الالف واستواء المقام بعيدين عن وحوش متمدن في هذه الايام
 الذين يفرقون بين الالفين لتفاوتهما في المقدار واختلاف
 النسبة والدار

وفي الواقع اذا نظرنا للاختلاف الواقع بين هذين الطرفين تعجبنا غاية
 الحب وأخذت نفهمهما الخيانة والطرب أذا رقبول اذ ابكى
 اومن شيء اشتكى قربوا منه ورد جنسه ابتسم وانطق وجهه
 ونقسم وكذلك هي ان تأملت من شيء مجهول كان يستدل عليه
 بكقبول فصارت من لطفها تسكن ما أصابها وتجدد على
 متانها كي لا يتألم لآلها ولا يتوجع من ضررها وما جئت مرة
 هنا الا وأراهما معا بمشيان ويتساندان بالابدي والاحضان

كأنهما الفرقدان أو السماكان وربما دخل الليل وهما
 في المهد على اعتناق الخد على الخد والاق على الساق وكان
 مبدآنطقهما وأول كلمة قالها لبعضهما كلمة أخي وأخني
 لاسيدي وسني وهاتان الكلمتان أحلاما تنطق به الاطفال
 وألذ ما يتحدث به الفسار والرجال فانوما دفئا كتاب الشفقة
 وعينما رأس الرقة وكانت تربيتها مامعاداعيا لازدياد المحبة
 بينهما والسعي في قضاء واجبهما وما أسرع ما اشتدا والى
 الخدمة استعدا فاخضعت وردجته بخدمة العشة ونظافتها
 والقيام بقرائض العيلة من جهة طعامها وكما رآها أنحوها
 على هذه الحالة قام يشكرها وقبلها في ثغرها وأما قبوله كان
 طورا مع مرجان في اصلاح البستان وطورا يذهب معه إلى
 الغابة في غابة القوة والصلابة فان رأى في طريقة زهرة لطيفة
 أو عشب طير على شجرة منيفة صعد على ساقها بهمة
 وأتى به لاخته عند عودته ومنى رأيت أحدهما فاعلم ان الآخر
 يجنيه أو منفصلا عنه بقربه حتى انى ذات يوم كنت نازلا من
 أعلا الجبل فرأيت وردجته مقبلة من جهة البستان على عجل
 سائرة يذبل ثوبها رأسها مواربة من المظرة نفسها فظننت
 على البعد انها وحدها فجئت لاسألهما فرأيتها ممسكة
 بذراع قبول وهو ملحف معها تحت الثوب المبلول وأخذا

يجريان وبشتدان ومن الشمسية التي اخترعها بخكان كأنهما
 مروسان في زفه أولؤلؤتان في صدفة
 وكان جـل اجتهادهما في أرضا خراطير بهضهما والمعاونة
 على قضاء حوائجهما ولم يتعلما الكتابة ولا القراءة بل نشأ
 على الساذجية والبرائة فلا يتفكران في أزمان مضت ولا ليال
 انقضت بل قام به قولهما الصغيرة ان الدنيا قد انحصرت
 في هذه الجزيرة وان لالذة فوق لذاتهما ولا شاغل لهما الا
 حب امهاتهما

شعر

ولم تسـل قط لهم دموع • على علوم ما بها متفوع
 ولم يقطب وجههم مؤذب • أو واعظ معنف معذب
 وقط ما احتاجا له صحيح ناصح • ولا لقول قادح أو مادح
 فان من من دأبه الامانة • مثلهما لا يقبل الخيانة
 من يكن في أكله بسيطا • مثلهما لا يعرف التخليطا
 ومن يك الصدق له عزيزه • ونفسه شريفة عزيزه
 فانه مفعـه مهـذب • لم يخطر الزور به والكذب
 ومن أطاع والديه حقا • فعنه لا يقال هذا عفا
 وهكذا على ذا اللطف تربيا وزمن الطفولية قضيا كاليوم
 الجميل يعرف من فلقه والمدرع الاصيل يظهر من حلقه ثم

استمر على تلك الموافقة حتى دخل السرايا المرافقه فانهم كما
 في مصالح العيله في اليوم والليله فتي أبار الصبح جبين السما
 صحت وردجته وذهبت الجلب الما ثم تدخل البيت وتصلح ما في
 القيدور وتأخذ منها ما يكفي له صور وفي الشروق تأتي
 أفخوان مع ابنتها عند الست بدور في موضع هنالك ويصلون ثم
 بعد ذلك يفطرون وكان فطورهم أغلى الأيام امام الباب
 تحت ظل الموز والله لاب متخذين من المروج فيروشا ومن
 أغصان الشجر عروشا سيما شجر الزانقي ذي اشعر
 الهني يتخذون أوراقه صحفا وكيزانه كذا اصحافا وهلم
 من هذا الفداء البسيط الخالي عن الثقلة والتعاطي حتى
 تكونت أجسام هذين الولدين ونحات أرواحهما بكل حسن
 زين فباغت وردجته اثنتا عشرة سنة الا وانرغت في قالب
 ما أحسنه لا أقول برزت في شكل البنات بل في قيافة
 السمات ولا أقدر أصفها في لفظ قصير أحسن مما حكا
 جرير

شعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق • رخيم الحواشي لا هرا ولا نذر
 وعينان قال الله كونا فكانتا • فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
 اذا تكلمت تبسمت ورنث بانفها وترنمت لها شعور كالليل

الحالك ومغازلة عبون تودى به قل الناسك وشفاه حمير
 كالمرجان ووجهه أبيض مائه يروى الظمان وان سكنت
 تفكرت ونظرت الى السماء وتحيرت فمظهر عليها علامة
 الزكوة تذكرك وانها صاحبة أفكار وأما قبول فانه تشكل
 باطرف أشكال المرافقه للغلمان وأفرغ في قلب من أجل
 قوالب الانسان وظهرت عليه قيافة الرجال فكان أطول من
 وردجنة في القدر والا عندل وكان أسمر منها لونا وأشم منها
 عريضا ولولا اهداب المسترسله واسهمها المقتلة لعد من
 أهل الحماسة وأرلى العزم والسياسة وكان مع انصافه
 بالحركة اذا رأى وردجته سكن وأقبل عليها ويحانها ارتكن
 واذا أكل معها بقياسا متين ويتطران لبعضهما مبهتين

شعر

كانهما تصويرتان على لوح • أوانهما طيران حلا على دوح
 أوانهما أصنام نوبة أفرغا • على قلب حازا الجمال بلاروح
 أوانهما نجمان زادا اطاما • لبعضهما خوف الفراق عن الصبح

وفي وصفهما شعر

والفان طول الدهر لم يتفرقا • كانهما جسمان والروح واحدة
 بنظرة عين وابتناسا تراهما • يدبان في المعنى على كل فائدة
 ثمان الست بدور لما رأيت أن بنتها كبرت • وفي ديوان النساء

ظهرت همها أصرها واشتغل بها ففكرها فكانت دائماً تنوجع
 لي منها وفي كل وقت تكلمني عنها وتقول اذامت ماذا يكون حالها
 بعدى ولم يكن عندها من حطام الدنيا شيء ولا عندي وكانت لها
 خالة من بنات كابر من أغنياء أهل الجزائر غيرهاها عجوز
 شهيرة بخيلة مترهبة وكانت آتت أن تساعدنا بشيء من مالها
 لأنها تزوجت بشاب ليس من رجالها ولما ان رأيت المستبدور
 قسوتها صدمتها ودهجرتها وعزمت على أن لا أتألمها في شيء أبداً ولو
 انها مدت من الفقر يدداً لكنها لما صارت أم ولد ولم يكن لها
 غيرها أحد هان عليها السؤال فكتبت اليها في الحال فقالت
 أما بعد فهذه رسالتي إلى سيدتي وخالي وإلى الآن في جزيرة
 دو فراس أشقى بلاد الناس وقدمات بعلى وعدمت بعدك
 أهلى ولى ابنة بلغت رشدها وطاب نهدها وحالى صار يرثى
 إليه ولم أجد غيرك من أعول عايله فارحى البعيد لبعده والمسكين
 لغايبه ووعدده واحسنى بعد حرمان عشرين ان رحمة الله
 قريب من المحسنين

قال فيكث هذا الكتاب مدة لم يظهر له أثر ولم يأت عنه خبر
 فأرسلت خطاباً ثانياً فيكث مكان الاول حتى انقضى العام
 وتحول فعززت بثالث خطاب فلم يرد عنه جواب ثم لأمضى
 لذلك نحو من سنتين ورد حاكم لهذه الجزيرة يقال له أبوردين فبلغ

الست بدورانها ورد لها معه خطاب من عند خالتها فأبقت
 بأصلاح حالتها وأسرعت إلى المدينة ولم تعبأ برثاءة ملبوسها
 وقلة فملوسها ودخلت عليه فسلمها الكتاب فأخذته
 باستهباب وفضت ختامه وقرأت كلامه فاذبه بلغني
 كتابك الشنيع ولفظه الفظيع السريع فسرتني ما أنت
 عليه من سوء الحال والاحتياج إلى السؤال وهذا لا شك
 جزاؤك على فعلك فأهنيك على موت بملك فانه كان من رعا
 المجرمين وأرذل الفاسقين وان انقطاعك في هذه الجزيرة
 خير لك وأحسن من أن تظهرى بالخزى بين أهلك فان هذه
 الجزيرة تغنى المرء على عجل ان لم يكن مثلك من أهل الكسل
 ثم ختمت خطاياهم بدمها في نفسها وانها ما ترميت الا لاجتناب
 عواقب الزواج المؤدية إلى الحرق واللجاج مع انها ما منعهما
 في الحقيقة عن ذلك ولا أحرمها مما هنالك ألانها لم تعتبر بأحد
 من الامرا ولم يخطبها على ما لها بعض الوزراء وذلك لخبث خلقها
 وسوء خلقها

ثم لم يكفها ما ذكرت وما اقترحت من الكيد وابتكرت
 حتى وشت العاكم في حقها وخاضعت له في مرضها
 فأول ما دخلت عليه ووقفت بين يديه نظرا اليها شزرا
 وأوسعها نهر اوزجرا وقابلها بالاستكبار وكلمها مع غاية

الاحتقار مع انه ما نظر اليها أحد الارق لها وبالبر والاحسان
 قابليها فكانت كلما افصحت لهذا الحاكم عن حالتها وذكورت له
 أمر ابنتها أجابها باطراف الكلام **كقوله** - رزقي
 والسلام ثم صار يباكتها بالحنين **ج** - سامعة خاليتها
 وخطأها وذنوبها وبمثل تلك الأقوال عنفها وعذبتها
 فرجعت الى بيتها وهي في غاية الهم والكدر والالم والفجور
 ورمت بالخطاب على مرتبتها ثم قالت بعد لصاحبيتها لقد
 تمت اللذة والمساكنة اذ هذا جزء صبر احدى عشر سنة ثم
 أخذت الكتب وكلهم عندها حاضرون وقرأته ثانيا وهم اهلها
 سامعون فلما خاضت من قراءته وتخاصت من الهم عبارته
 قالت اهلها أقعوان ما السبب لهذه الرذالة ومن أحوحنا تلك
 الخالة أليس انما رب يكفيننا بطعمنا ثم يسقينا واذا مرضنا
 فهو يشفيننا سبحانه لم نجد الا لها غيره رزقنا واسبل علينا
 خبره فعلىم التأسف والحزن والمقت في البدن انك لمن
 الجاهلين وان الله مع الصابرين فبكت البست بدور بكاء
 شديدا وأكثرت نواحا وعيدا فضمنتها أقعوان لصدورها
 وجعلت تناطف بها وتسكن غيظها ودهمها وتزبل ألامها ثم
 خنقها البسكى فبكت مدهمها وأرسلت عليها أدمها فأنبلت
 عليها وورد جنة نبيكي وتقبل أيديهم - ما و تشنكى ثم جاء قبول

بصر خ ويحرك يديه ويرى بشر الغبط من عينييه وهو يتمرمر
ويتألم من هذا الخطب الذي ألم فلما أحس مرجان ومريم
بتلك الرحمة وسمعاه هذه الضجة أقبل لا يتضرعان اليهما
ويتوقعان على أرجاهما حتى أكلنا ما قام بهما فقامت
الست بدور الى قبول وورد جنه وأمسكنهما والى صدرها
ضمتهما وقالت أنتما سبب همى وغنى واحتياجى الى خالى
وعى ليكنكما الآن اذى وسرورى ومنأى وحبورى
فيا ليتنى من هنا ما خرجت ولم أكن لافرس السؤال أسرجت
فن الخارج أنتنى المضره وأما هنا فولى الهنا والمسره فلم
يفهم ما قالت ولا أدركا ما اليه أشارت بل لما طابت نفسيها
وابتسمت وانشرح صدرها وتكلمت أخذتا يداهما
ويسلبانها ويلعبانها ورجع الكل لما كانوا عليه من الهنا
مذ زال الهم والعنا وكأنها لم تكن الا عاصفة هاجت
وخسعت أو سحابة ظهرت ثم تقشعت

واقعدا اذ داد قبول وورد جنه فى الجسم طرفا وفى الروح رقة
ولطفما وكما حسن الله خلقهما فقد حسن خلقهما فاتفق
ذات يوم ان خرجت أمهاتهما ببعض الزيارات والمطلعة على
فقرا الجارات واذا بجارية أقبلت تستظل تحت الموز وترجو
التجاة والفوز رثة الثياب حافية الاعقاب فلما ان رأت

وردجنة تزامت على قدميها ووقفت تمذلل بين يديها وتقول
 لها سني ارحمني وبعين العناية انظريني فاني جارية اسيره
 وخادمة فقيرة حقيره هربت من سبدي ومذابه وما صدقت
 ان خرجت من بابه ولي مسيره شهروا انا امشي في الجبال حتى
 ذقت الويل والويل وبست من الرجوع وعدم النوم
 والهجوع وهلكت من العطش والجوع وما اثر الضرب
 على جسدي وعلامه القيد في رجلي والوثاق في يدي وكنت
 عزمت على ان اتقي بنفسي في البحر او اغرق في نيل النهر وما
 منعني الا بعض الامل وان اري خيرا من سكان هذا الجبل
 قال فانه انظرت وردجنة حالها وسمعت ما جرى لها اخذتها
 اليها لثمة فو لم يرد ونحركت فيها النضوة والفتوه وقدمت
 لها طعام العبيده ولم يكن عندها فقيره لهذه اليله وقالت لها
 كلي واشربي وطيبني واطربي فحاشا بضم تزيل الكرام
 ولما ان عامت انها شبعت وبالراحه تمتعت قالت لها يا مسكينه
 اني اريد ان اتبعك وادهب الي سيدك معك واسئله المغفر
 عنك وهو اذراك في هذه الحاله بشفق منك لانه اريد ان
 اليه ان ترجعي وان تسكوني معي

شعر

قالت لها ورائك وراي • وحق من يصنع براي

قد سخط الله على العين العمي ان لم تكن بنورها تراكي
قال فتسادت وردجته أخواها قبول وقالت له ماذا نقول أنريد
أن تذهب معنا وهذه الجارية تدبنا حتى نوصاها المالكها
وظاب منه العفو عنها فقال

شعر

مر بني بما شئت أن تأمرني • ولولا القسب لم ألي قبصر
فمك اذا اتسع الخطب ذرعا • فجمع كالحتم في خمري
قال فساروا الجارية امامهما تقودهما ونمشي بهما بقطعان
الغابات ويخترقان ما يطبق من المفازل وكلما اقبيا جبلا
عليه تسلقا أو صخرة بها تماقا حتى وصلتا في الظهيرة الى
بيت حوله سرروحات صكثيره وفيه جم غفير من البصري
وعدد كثير من الاسافل والامرا مشتهين بخرابة الارض
وفلاحنها وبذرهما على بعد مساحتها وبينهم رجل يابس
الجسم عظيم الجرم طويل القامة عليه هيئة الاماره
والشوامه خاثر العينين أسودهما كث الحاجبين مقرونها
فامارته وردجته عرفته وبالرياسة وسمته فاقبلت عليه
وتقدمت هي وأخوها بين يديه وقالت له وهي منه مستغربة
ومن هيأته مضطربة بالله عليك الاماء فوفت عن هذه المسكينه
فان روحها بين يديك رهينه

فكان الرجل لما نظر اليهما ورأى حقارة ما بهوسهما كاد
 أن لا يسمع لهما قولاً وأن يخرجهما من باب أولى لئلا يكتنهما
 وقع بصره على ورد جنسه وسمع منها الشدة والفتنة انحلت
 عرى صبره وتصاعدت ابخرة كبره وأقبل عليهما كل الاقبال
 ولان لهما قلبه ومال وقال فيم جئتني وعن أي شيء سألتني
 فقالت أسألك عن هذه الجارية عفرا وأن تعفوا فافهم وأقرب
 للفقوى فاقسم بالله انه عني عنها اسكرامها لها وحياء منها
 فأشارت وورد جنسه الى الجارية أن تقدم على سيدها وأن تمد
 اليه يدها ثم رجعت بعد ذلك وأخوها معها وهي تسمع عن
 الفرح آدميها وسارا يقطعان السهل والوعر الى ان اذن
 عليهما العصر وهما في كد وتعب وعطش وسغب وما صدقا
 ان لقيبا في طريقةهما شجرة فتظللان تحت فروعهما المنتشرة وجلسا
 تحتها برهة على وجه الراحة لا على وجه التزمه فقال لهما أخوها
 وهي في هذه الحالة وقد رأيت أنهما هالكان لا محالة أليس بالله
 اننا تعبنا وان الجوع والعطش قد أضرا بنا فان رأيت أن
 ترجع الى هذا الزجل وتقبله وفيما تبسر من الماء كول نسأله
 فان لنا يوما بغير افطار وقد كاد أن يمضي النهار فقالت له والله
 لا يكون ذلك أبدا ولا نسأل في طعامنا أحدا أما سمعت ابي
 وهي تقول ان سؤال النظام من الفضول فان من سأل ظالما

مطاما فقد امتطاهي فقال لها وكيف تفعل أمالا ونحن
 لا نملك جاهها ولا مالا يا ليتني في هذه الغابة أجد ثمرا هنديا أو
 شجرة لامونيا فترتين بهارت وتبعين من العطش وصرارته
 فقالت لئلا الله أمالي وجل جلالا فإنه قريب سمع بحبيب
 وما تم نوالها الا وسمعا خبره بين قبادرا الهيا ورقعا من شاة
 النظماء عابها وشربا من مائها الصافي وعذب رضاءها لك في
 ثم جمعا شاة من الحشايش بأكلانه فلم يفتنهما ولم يشبعاه
 فصارا يهتان عن ثمن من الاثمار أو بعض نخيل من ذوات الجمار
 فرأت وردجنة نخلة صغيرة امارأ من كبره فهم قبول
 باقتلاعها فاقامته وأنفذت قوته وأنبتته فأخذ يجرقها فلم
 يجدنارا وكلف نفسه صبرا وجدا اصطبارا بل تذكران
 الزنوج اذا أرادت ابتعاد النار في الخشب أخذت هودين بابسين
 من الحطب وحكتهما معا ففعلت ذلك فأرادها ثم جاء بالنار الى
 جذع النخلة فأوقعها من أساسها خاهها ومارى بحرق ليفها
 وبقلع نعرها حتى وصل الى النخاع وأخرج منه مقدودا راح
 فأكل منه وطابت نفسها ونعم بالهما وانديسطا من تلك
 النعم السارة ومن الجميل الذي صنعاه مع العجارية الفارة ألا
 انه خطري بالهما ان أمهما في تنظارهما فسد ما وتأسفا
 وأسبلادهما ركفكفا

وكانت وردجنة تذ كراهف الامهات وتنشد هذه الايات

يا ويح قلابي على نساء • قد لقبوهم بالامهات
يحمل طول الزمان هما • على البنينا والبنات
وكل خبرهن ماض • وكل خبرهن من آتى
ما تم حظاهن الا • بدله الله بالمسرات

فقال لها قبول وقد احسن أن يقول

وحق حبي لك يا اخنأ • وما اترافلي وما اتاه
اترين اليوم امهاتنا • ولنديت من معاني بيننا

ثم شرع يمشيان قماها من الطريق ومدا الرقيق فقال قبول
لوردجنة لا تخافي من شيء أبدا ولا تحملي هما ولا تسكدا فانا
أعرف ان بيتنا جهة الشمال لا يبعد عن ميل الشمس وقت
الزوال فامشي بنا على عجل الى هذا الجبل وكان يسمى
بجبل الثلاثة أبرز لامتيازهم كل الامتياز ثم نزلا على منحدر
انهر الاسود وأشرقا على أرض فدفد فانفق أن تعرض لهما
نهر عريض في ممرهما وكان هديدا للتيار كثير البيل والاختدار
واقعا في أكبر أجزاء الجزيرة فاطمأنا في سيرة لصخرات كثيرة
فانزعجت وردجنة من ظليانه وشدة هديره وفورانه وما
أمكنها أن تمر منه وأعرضت كل الاعراض عنه فقماها قبول
على عائقه وتحفظ عليهما بمراقبته وصار يخطي بها زان الاجمار

مقعده الشديد الاخطار وهو يقول لها لا تخافي فاني احسن
 بالقوة وانت على اكتافي فوالله لو ان صاحب الجارية الهاربة
 لم يمكنك مما كنت له طالبة لنهرته رشتته وهلى وجهه لطمته
 فقالت له كيف ذلك وهو اكبر منك وقوى عنك فوبلى انا
 التي اتعبتك والى الشر عرضتكم وقربتك وما أصعب فعل
 الخبير وأثقله وأعرضه على الناس وأطوله وهكذا يمثل هذا
 الكلام كانت تكلمه وترشده للطرق وتعلمه حتى قطع بها
 النهر على عمل وأراد أن يصعد بها الجبل الا أن قوته لم تساعد
 ولم تقو على حملها سوا هذه فأزلاها على الارض وجلس وهو
 على آخر نفس فقالت له ورد جنسه ان النهار قد زال وظل
 الاشجار قد طال واني قد أشرفت على الهلاك ولا يمكنني أن
 أذهب واياك فانركني أنت هنا واذهب وحده لأمهاتنا
 فتطمئن بك قلوبهم ويأتون معك كلهم فقال أنا لا أتركك أبدا
 ولست أقصد في نجاتك غيري أحدا حتى لو جن علينا الليل ونحن
 في تلك الاجرة ومنعتنا من السير الظلمة أو قدم من الخطب
 النار وأحرق نخلة ذات جمار فنستنبر بئرها وتنغذامن
 جمارها واصنع لك بيتا من سعفها وفرشا من ليفها
 قال فهرفت النظر من الراح والتفت لما في رجليها من
 الجراح وأخذت تنزع من ورق الشجر لان قدميها قد

أدماهما الحجر وانها الحب الخبر ما انتكرت في فعلها وماتت هرت
 في عواقب فعلها ولما ان قل توجهها وكثر الى الزاح أطعاهما
 قامت تستند على أخيهما باليمن وتسكى على عصي بيدها
 البسرى

ثم صارا الى مهمل فاصدين طريق الجميل لكنهما لعلوا
 الاشجار وكثافة أوراقها وكثرة اذعكافها وانطبأتها ضاع
 منهما منظر الجبل الذي كان اتخذه دليلا ثم مالت الشمس
 للغروب قليلا قليلا فنادى عن الدرب الذي كانا اتبعاه وبقيما
 في حيرة من ضل وتاه لم يريا فوفهما غير الشجر ولم ينظرا تحت
 الا الحصى والحجر فأجلس قبول وردجته وصار كمن أصيب
 بجذبه يجرى من شجرة الى شجرة ويطاع علوة ويتزل حفره يبحث
 عن الطريق الذي فقد فاستدل عليه وما وجد ثم صعد
 على شجرة عالية فطوفها غير دانيه فلم ير الارؤس باقى الاشجار
 وعليها صبغة الشمس في أواخر النهار ورأى الريح قد سكنت
 بعد الهبوب كما يحصل ذلك عادة وقت الغروب وانتشر في الجو
 السكون وأقبلت الحيوانات الى بيوت فلم يسمع الارضاء
 الغزلان ونعيب الغربان فصاح قبول بأعلا صوته مناديا
 لهل أن يرى أحدا من الصيادين آتيا ولما لم تأت أحدا به ولم
 برد الا صداه عليه نزل من أعلا الشجرة وقد أعياه التعب

وأضناه اليأس والغضب وحزم على المبيت في هذا المكان وإن لم
يكن فيه انسان ألا أنه لم يجد مأوى ولا حطباً ولا نخيلاً ولا خشباً
فيشتر واشتكى وألقى بنفسه على الأرض وبكى فقالت له ورد
جنة لا تبكي ولاتأن ولا تشنكي فأنا السبب في عذابك وعذابك
وما أترى أمهاتنا من قباني وغيايبك وكان قصدي بذلك قبل
الخبر لا تكلف الشقة في السير فإعظم جهلي وأقل عقلي
ثم بكى وتوجعت ورفعت يدها إلى السماء وتضرعت وقالت

شعر

يا من له العزة والدوام • ومن على نبيه السلام
هي لنا من كل أمر فرجا • وكل هم ومضيق مخرجا
فأثم دعاها الاوطار في لباب الفرج يفتح بصوت كلب يشج فقال
قبول ان هذا الكلب من كلاب الصيادين الذين بأنون ليلاً
في البساتين ثم ازداد به بذلك نحيبه وقرب منهم ما صدحه
فقالت ورد جنة لعله كلمنا ولعلنا بالقرب من دارنا ثم مالبتا
ان حضرا الكلب عندهما ووقف يتمتع بهما ويقبل
ارجلهما فأندهما الرؤيته فرحا وانبطا منه وانشرحا
واذا بمرجان صدهما على أثره يجري وكان لا يعلم مكانهما ولا
يدري فلما رآهما بكى فرحاً وطرب وأخذ بهما الذهب
وبعدان ثغافى قال لهما يا أسبادي ان أمي كافي أشد العذاب

على بعدكما وحصل لهما مزيد الغم حين رجعا للدار ولم يريا كما وكنت
 معهما الزبارة إحدى الجارات وكانت صريخ في المدينة لقضاء
 بعض الحاجات فلم نعلم أين توجهنما وصرت أبحث في كل مكان
 منكما ثم جئت ببعض ملبوسكما وأشهدته الكلب قطن لما
 أشرت إليه وساروسرت منوكله عليه ساعيا بين يديه فأتى بي
 إلى النهر الأسود ذي الحمر الجامد فأخبرونا أنكاجتتما وكانت
 جارية معكما وإن سبدها مني عنها كرامة لكما لكن والأسفاه
 وأي مفوه مني عنها وقد رأيتها ودنوت منها فإذا هي موثوقة
 العنق واليدين مكبلة الرجلين فتركهم وتبع الكلب أمان
 وهو يدخل بي من مكان إلى مكان إلى أن وقف ينبع ضد نخلة
 واقعه ونارها الجبوظ العنه ثم أتى بي إلى هنا وبلغني برؤيا كما
 المنى ونحر الآن على فتح الجبل الرابع على البعد من منازلنا
 بأربعة فرائخ فكلنا قبلا حتى تدب فيكما العائيه ثم
 أعطاهما الطعمة كافيه وأعطاهما شراب السكبييل وبعض
 من مربى الزنجبيل

قال فتهدت ورد جنسه على ما أصاب الجاوية بعدهما وعلى
 ملاقاته أمهاتهما وأما سرجان فأحضر خطبا قال له الدور
 من شأنه أنه يحترق وهو أخضر ونعل به فوله فأخرج منه شعله
 واحتمار أمره بعد ذلك في الرجوع بهما لأن كثرة المشي قد

أودت بأرجاهما وزددين أن يتركهما وحدهما ليطلب من
يستعين به على تقاهما وبين أن يبيت في تلك الغابة بهما وقال
لهما مناسفا حاسرا لبال كاسفا

مضى زمن كنت فيه قويا • أفوق به زمي على الفائق
وكنت شديد القوى كالحديد • وأعلام من الجبل الشاهق
إذا ما حانت لك ساعة • كافي بريش • على عاتق
ولقد صرت الآن قليل العافية • والله لا تخف عليه خافية أسئلة
بينه وكرمه أن يسفر لنا ونأمن غامض عامه • فأنتم دعاه وكل
انشاده وأنشأ • ألا ونفر من العبيد قد مر ووقب عندهم
ونظر فعرف ورد الجنة وقبول وأشار كبيرهم بقول انكما
والله من أعجب لمبض خافا وأحسنهم خافا • فقد رأينا كما
صبيحة هذا اليوم عند شجر اللوم ومعكم جارية من الهير
الأسود جاران إياهما من يدهما مقربان لها إلى سيدها وطلبتا منه أن
يعفو عنها فلا بد أن نحملاكما إلى داركما ونركما إلى أمهاتكما ثم
أشار إلى من معه من العبيد أن يصنعوا له ما هو دجاء من الجريد
ثم أجلسوهما فيه وحملوه جملته ومشوا ومسي مرجان أمامهم
بالشعلة فقالت ورد جنة لا خيبا انظر كيف يسر الله لنا
بالخيرات جزاء لما فعلناه من الطيبات قال فوصلوا نصف
الليل إلى سبع الجبل فتطروا على رؤسهم عدة شعل وسعوا على

البعد من يقول هل فيكم وردجنة وقبول فصاح الجميع نعم هم
 بعينهم قد يسر الله بهم ثم انكشف الظلام عن امهاتهم ومريم
 تحمل شهلا من ورائهم فقالت الست بدور أين كنتم وكيف
 حلفتنا ورحم فانكم مذقتم قبيحا من الصواب وبقينا
 في أشد العذاب

فقالن وردجنة كذا في النهر الا - وندفع في جاريفسبدها هناك
 وكنت أعطينها الفطور لانهما كانت أسرفت على الهلاك وقد
 أنى هذا الرط بنا وحملونا الى هاهنا فانقضت الست بدور
 على ابنها والى صدرها ضمتها فلما أحست بدموعها
 وشدة تشوقها ولوعها قال لها كفا لك ما قاسيتيه في هذا
 اليوم وانك قد أحرمت لذة النوم ثم نهأ أدخلتها العنة معها
 وكان قبول يتبعها فضمت أفعران ابنها ضمتها متناق وتناحت
 عند التسلاق من ألم الرائي ثم دخلوا بيوتهم جماعقبرا وأعطوا
 العبيد أكلا كثيرا حتى خرجوا من عندهم شاكرين ولهم
 داهين بالخبر أجمعين

قال وكانت أيامهم أيام أعباد وصدف انهم بغير معاد فلا
 الآتي بهم ولا الماضي يفتهم ولا شغل لهم بالمناصب التي
 تكسبها الدسيسه والطباع الخسيسه ونذهبها النميمه
 والاخلاق الذميمه بل كانوا مكتفين بيهضهم كل الكفايه

غنيين عن الوالى والولاية لهم من أنفسهم شهود وحكم ومن
 كلاءهم مواظ وحكم لا حاجة لهم بأن يتشبهوا باخلاق أهل
 الامصار فى حب الاطلاع على شئ من الاخبار بل كان
 فضاهم بينهم منسيا وذكرهم مستترا خفيا ان سبل عنهم قبل
 اناس من الطيبين وحزب من المتقين

شعر

كانهم زهر البفسج لا يرى • ولم يك لولا عرفه قط يعرف
 وكنت لا اسمع فى سيرهم غيبة ولا نبيمة ولا شيا من تلك
 الاقوال الذميمة فالنبيمة تلوح فى ثوب الحق على الطاهر وهي
 نسي ما لا يرى وتبين الضمائر فان قيل لك من احدائه من
 الاشرار أضمرت له العداوة كل الاضمار وقابلته بطوامر
 الصفا وانت ناوئته فى القطيعة والجماع

قال الشاعر

ان النبيمة تفسد الاخلاقا وتكدر الاهدواء والافاقا
 بكفيك منها فى الرذائل انها تكسر المذهب مربية وثفاقا
 وكان من شأن هاتين العايلتين أن لا يشتهى الا بكل حسن زين
 بعاملان الناس باحسان ولا يقنعيان أثر انسان ومع
 بهتة ما فى ظل الوحدة ووحشة العزلة فاذا زاد الانسا
 وبهجة وفصاحة ولهجة لانهم ما من قصص العالم مبعدان

ومن أخلاق المدن من مردان وقد اعتاضا من محاسن الطبيعة
بأذنة تفوق الذات ومسرة من دونها جميع المسرات بشاهدان
تلك اللطاف الالهية والتخيرات السماوية كيف بدلت محل
العصر بنحسوبة وبأيسر الجوى برطوبة وماح الماء بعذوبة
وأنبتت لهما المرعى وكان غشاء أحوى انها النعم الماثوى
وجنة المأوى

قال ولما طبع قبول اثنى عشر سنة من الكبار
لانه أدرك من الذكاء وقوة النبوة ما لم يبلغه ابن خمسة عشر
في الامصار فكان يشتغل بتحصين ما يقع به من مرجان
وكان دائم معه أينما كان يذهب الى الغاية بفاسه الصغرى
ومغلة القصير يقتلع ما يراه من شجر الليمون والذارج العطير
والثمر الهندي النضير والغيل ذا الثمر الحلو الكثير ثم
يخرسها حول الحوض مع بقية أبقار من الاشجار ذات الفواكه
والازهار كالقشطة والعل الفارسي والقاون الهندي ثم
مأراج من الباب القنا والدبا والوف والمبلاط والحجبة
الحمقا ثم البقعة ونس والكسبره وغيرهما من ذوات
الاوراق المزهرة ولم يترك قطعة من البور الا برقعها وأبرأ
نسها حتى لقد قرص الصبر مع مرارته والقافل على حرارته
وما ترك شيئا من الازهار الصفرا والورد والحمرا والخلوات

البيضاء والفصوص الزرقا ورتب كل طائفة ترتيبا يسر الناظرين
 ويهيج المتفرجين فيعمل لزرع الفصير في بطون الوديان
 وجعل فوقه كل عالي الاقصان ثم الاملا فالاملا والاحلا
 فالاحلا ليتمتع الرائي بالنظر اليها مرتين وينشرح من وجهين
 فان نظرمرة واحدة شرح العيون ولا تقدمه
 ثم غرس الخضراوات على شق معزول ومكان مفصول
 واحاطها بدروب من البر والارز والتعير وسائر الغزل على
 النسق والتسطير ولم يخرج بها من مراعاة النظير ومما سبه
 الطويل والطويل والفصير لفصير كالبيات الذي يجب الهوا
 جعله في الهوا والذي يجب الماء جعله في الماء وكان الماء انصدر
 من رؤس الخضرات لبطن الوادي ينشكلى باشكال مختلفة
 وهبات مستظرفة فكانت من رقة مائتها وشدة صفائها
 تنطبع فيها الخضراوات وكافة الاشجار المزهرات وتلوح
 من خلالها مخفورة كاقبياب على صفحة سماء نص عنها ثوب
 السحاب ومع عدم استواء تلك البقعة وارتفاع قطعه
 وانخفاض قطعه فكان لا يبعد النظر اليها بالعين ولا التناول
 منها باليدين وكما نساها قبول أنا ومرجان ونرشده باليد
 واللسان حتى عامناه ومرناه والى الفلاحة وطمناه ومهدناه
 فأصلح طريقا حول الحوض مظله وأحاطه بشجر ذي فروع

مذله ومهد الوعر وجهه مما شئ لترمه وألف بين الشجر
البرى والاهلى في برهه وكما ازاء من الحجر بنابه مساطب
وأهرامات وأحاطها بما يليق بهما من الثبات ثم ما مضى من
الزمن كثير ولا انقضى غير كثير حتى اكتمى كل هرم ثوب
شباب وتلفت المساطب بظلال الخروور والالباب فصارت
معا كف ومخادع ومساكن ومسامع بتطللون فيها نصف
النهار ويتغذون منها يجنى الثمار وكان اذا نظر الجالس منها
عن يمينه رأى يسارنا وعن يساره رأى الخوض بالخصائد ملتثانا
وان نظر امامه رأى موضع المشتين ونظر الجبل على بعد
مرحلتين ومن جلس وقت الزوال تحت شجر النسي لم ير من
كمافنه شيئا ينظر فان كان على الضفة الثانية من الجبل
نظر الخوض وما عليه اشتمل ونظر البحر ومواقفه ورأى
السفن فيه بين ذاهبة وراجعة

وكانوا يجتمعون في المساء على رأس الحضرة فيستمعون بالماء
والهواء والحضرة ويشاهدون مجارى الماء العذب معجده
باشعة الشمس وهي نازلة في القرب

وما أحسن ما اخترعوا من تسمية تلك المحلات وأبدعوا
في وصف السميات فجعلوا اسم الحضرة المنعجة باسم استكشاف
الحجبه وكان قبول وورد الجنة عند لهما في ريمان شبابهما

قد أثبتنا فيها هودا من الخبزان أرقضينا من نصب البان
 فاذا جئت نصبوا عليه من دبل لا ليكون اقدومي دبل لا كما تنصب
 الاشارة على حصن الجبل لكل مركب دخل فطريقا الى
 ان انقش كلمات نجت هودا الخبزان كما كانت تنقش الكلمات
 على آثار المهر بين والبونان وما خطر بغيري الا بيت أبي
 الملا المصري

شعر

معان من أحببنا معان • نجيب الصاهلات به القيان
 ثم نقشت على الجزع الذي كان بأري اليه قبول حين كان البصر
 بهيج وبصول

شعر

من سكن المروج والرياضا • فقد قضى من عينه الاغراضا
 ونقشت على باب الست بدور وهو يجمع العائلتين في العشا
 والظهور

قصر ملك نجبة وسلام • خلعت عليك جمالها الابام
 ولما ان رأت ورد جنه ما على الخبزان من النقش اسنطواته
 وأحابت من كتبه واستجهلته وقالت هذا كله محوى وكلام
 لغوى قلبك لومته وكنت نجته

أهاجه الهرا • ونظ ما هوى

فقلت لهما ان تلك الكلمات من فضائل البنات فاحمرت
من الخجل وولت على عجل

ونهاية الامر فقد نشرت تلك العائلة ما يمكن صدورها على
جميع ما حوالها فقصت برفيق الاسماء كل شيء يلحق بأن يكون
المسمى كشجرات من الموز والمارنج والفار كان قبول وورد
جنة برقصان فتحتماني آخر النهار فقد سموها بالخانة وكشجرة
قديمة ~~سكانت~~ الست بدور واقعه وان بعد ثمان تحت ظاهما بما
أصابهما حين كان الف كرقوم بهما سميت بدار السلوة
والامانة وسميا بعض الجهات التي بها البر والحدس باسماء
بلادهما وكذلك العبد والجارية تقابلا بساداتهما سميا
بعض محال باسماء بلادهما

فانعم بهما من تعة تروح الفؤاد وتسلو الغريب على البلاد وكم
من شجرة من تلك الاشجار التي تراها اليوم مهيورة قد تمتعت
منهم باسماء مشهورة وغير مشهورة وهي الآن كرسوم
الاقدمين وأثار اليونان والمصريين
شعر

ثم انقضت تلك السنون وأهالها * فكانها وكانهم أحلام
وقال ابن الوردة

ان أهني عبثه قضيتها * ذهبت أيامها والاسم حل

ولم أراح من منظر من تلك المسميات وأكثر بهجة بين سائر
المحلات من المكار المسمى بخملوة وردجته فانه كان بقعة من
بقاع الجنة وذلك انه كان عند الحضرة المستحبه المسماة
بإستكشاف الحبه عين جارية عذبه تسيل على بساط من المروج
الرطبه وكانت لما وضعت أقدامها فيها دعنتني يوما عندها
فأهدبتهما من ثمر الهند بجوزين فغسرت أحدهما بأقرب من
العين لتكون الشجرة تاريخا مولده وقربنا لخدمته ولما
ولدت وردجته غسرت أمها جوزا أخرى بجانب الأولى فصارت
مثلها وإن لم تشبهها طولا ثم أنبت الله الشجرتين نباتا أحسن
وحفظهما مع قريبهما زمانا ولما بلغ الولدان من العمر مائة
عشرة سنة وأفرغاني قال ما أحسنه صارت الشجرتان
يفوقان الدور في الارتفاع إنما كانت شجرة قبول أطول من
الأخرى قدر باع ثم التفت الساق بالساق وانضمت الفروع
للعنان فصارا كهية عاشقين وأدلى الجوز على العين وترك
سفع الحضرة على ما خلق من فواقعها الصغرى والكبرى
وأجارها البسمي والبسري مع خضر أحشائها الزبرجديه
وحمر أوردتها الجوريه وصفيق حشائنها الرائب في جدرانها
ومرجاني شعابها النبات في قدراتها ثم ما حفت به شواطئها
من يافع القرظ وزاهي الباسمين والفل وما بدلى على جوانب

الجبل البيضاء البقعة من تلك السمات الداية لمتقنه فتكون
 بمنزلة الحبات الاطاسية للفرش السندسية والحواشي الهندية
 على الشباب الصنعانية فبها الطير بعيدة المظال حميدة
 العاقبة والمال نياوى البهائم اراه لله وحى بها افراخه والعبله
 قال وكانت تميل بدرجة الى أن تستريح وهذا الخزع وتفضل
 بعض الملبوس في ماء المنيع أو رعى قطيع من الماء في أطرافها
 الخضلة فتكسب ماء ومرطاً وظله ولا علم قبول انها تميل
 لهذا المحل وتألفه وتتردد عليه وتستأطفه صار كما طامع
 الغاية ورأى عشر طير قابله في هذا المحل فقله حتى ألقته
 الطيور على اختلاف أنواعها وصارت تأتي اليهم بدرجة كل
 يوم بصاهها فتقطع من الفلذ ونظم دانه من البسله الى
 ان مكف عليها القطا وأمن من الخطأ ونام بمرطها وأوت
 اليه البلابيل وكثرت النعماء وبرو ما لا يحصى من ريش كاللبل
 في طرفه الشفق ومن عليه أثر دبه من الحرق وذى قوائم
 كالقندم ومتاقير كالنم ومن لاسر طوق القصة على ثوب من
 العصبه ومخضر بوشاح من زبرجده لا أقول كالذهب
 في الأكياس ولا كاللحج في نفيس اللباس بل أبداع من ذلك
 وأصنع مما هنا وهناك ان ظفرت بتصوره أعياك الانصاح
 ولو كنت مستهدا من المصباح لتفقد ما فيه وما في العجاج

شعر

فلله ما أحلا قلاما وقينة • على الخير شبها والحنانة والبر
قد اتفقا فاستأنس الوحش منهما

وحني سري التأليف في معشر الطير
هذا وكم سرّة أكلت معهم في الخلا • واجتمعنا في مكان راق
وحلا ولم يتكلف مطعمنا سفك دم الحيوان مع انه كان كثير
الدسم والالوان كالابن والقشطه وبيض الدجاج وفطير الارز
على ورق الديباج وفواكه شتى ومطاعم من شجر ابن مينا
فما كان أحلا ثمارهم وأثمارهم وفواكههم ومفاهمهم
وأما قبول في كان لا يتحدث الابشغل بيومه وغده وكان لا يمر غير
المنفعة على لسانه ويده فيقول هذا الطريق يحتاج للتمهيد
وتلك الخروق يلزم لها التسديد وهنا يلزم أن يكون كذا
وبذا لتستريح ورد جنه وبذا فاذا دخل عليهم الشهاب مطره
وهجم السحاب بقطره التبعأ والبيت هم مع خدامهم وجلبوا
الحوص والخيزران تحت أقدامهم وجاسوا يتحدثون وهم
يشغلون ومن الحصر والاسباب يصطنعون وتكون
أدواة الزراعة الى الحائط مسودة وتحتها محصولات السنة
الماضية محفوظة مرصودة فيخذون منها مؤنتهم وغذاهم
ويدفنون بها احتياجهم واذا هم وقد تعامت ورد جنه من

الحالها عمل المربات النارجية وأنواع الاشربة الميمونية وهذا
لا شك يتخف المزاج ويغنى المريض عن العلاج
قال فاذا جن الليل عليهم أحضروا الشماء في ضوء المصباح
وتفككوا بالبخوخ أو التفاح ثم غسلوا القدر وحضروا
وحضرت الست بدور وأخذت ثقتهم خبر من انقطع في مسالك
الاصوص المغزوة أو حدثت سفن رمت بها الامواج على جزر
منقطعة فتقتعل ذلك رهاجا لود السامعين ويدهون لهم
بالنساء أجمعين وكثر ما ناموا على السيول الهاطلة وهي على
سطح يديهم نازلة أو ناموا على ضجيج الامواج ودوى الرياح
وهم في أمن شاكرين الله الى الصباح

شعر

وما لهم قط أعياد معينة • بل كل أيامهم أيام أعياد
الكون معبدتهم والله مقصدتهم • وصنعه كل يوم بينهم يادى
قد فوضوا أمرهم لله فاقنعوا • بما لديهم من الملبوس والراد
وأمهاتهم لما اقتصدت سرى • ذا الاقتصاد الى أرواح أولاد
عصابة ان أصاب الهم بعضهم • هموا به وأعادوه يا وراد
كانهم ضفت رعى ضم أفرعه • ليستعين على الأرواح فى الوادى
فاذا جاء فصل الربيع ذوالقيث المربع • خرجوا الزبارة
جيرانهم الفقرا ولم يتدخلوا قط عند الامرا • مع ان أغنياء

هذه الجهات كانوا يقربون اليهم على عدد الاوقات ويدهونهم
الى اصطحابهم والاستئناس بهم فكانوا يعتذرون لهم بالطف
الاعذار ويتخاصون من ورطة تدعوا اليهم لعلهم ان
الاغنياء لا يدعون الفقراء الا لينة او اليهم وهم مع ذلك
يتعاطفون اليهم وكانوا يبالون اعداء من قضا البلد ممن
شأنهم النميمه والحسد فكان تخصهم من اجمع من باب
الاقتصار لان باب الثقة والاستكبار لدا صار لغنى
ينظرهم بعين الاحترام والفقير ياباهم مع لا يقسام وكم من
فقير أعياه دهره وأرزه دهره فباههم مفتكبا فواسوه
واستعان بهم فأعانوه وكم مريض أتاهم يدائه فرجع بدوائه
واستغنى بهم واكتفى ورزقه الله ببركاتهم الشفا

وكانت وردجنة تنار لهم الدواء يدها ونجود في خدمتهم بأحسن
ما عندها فترجع بعد شفاهم باكية من الفرح شاككة
لفعلها الذي شج ثم تأتي مع أهلها لزيارتي فأقول لها أهلا وسهلا
يجارني الآن وجب على اكرامك وعظم لدى مقامك ثم
أنجزهم موهبا وأهتم لهم في الفدا وأكون قد
أعددت لهم شيا من الشراب العتيق بلون العقيق فنطرد به
جيش الهم ونهزم بسطوته جنود الغم ونجعل مجلسنا في مصب
نهر التنوير أو بمنظلة بجانب الغدير ونكون قد ادخرنا لهذا

اليوم فواكه جنبيه ولحوم طرية وربما اجتمعنا على العزرة
يوم ريح قطنا نتحدث عليه ونسبح ونظرنا البحر الهائج
وتلاطم الامواج فبئزل قبول فيه يهرم فيطرد الروح فيأتي
وهو مهزوم فتصح ورد جنة صيحة حوب وضجير وثقل لا أحب
هذا اللعب لانه على خطر

وكان اذا انقضى الطعام ووجب القيام اخذ قبول ورد جنة
من يدها وشرع يرقص بها وهي تغني بالذبذبات وتشد
هذه الايات

شعر

يا حبيذا عيش الخلا • من الموم قد خلا
ما من فتى يسكنه • الا وعيشه حسلا
يا من لاج البحر قد • هوى موت في الهلا
الارض اهنما متزلا • لمن أراد مستزلا
ان لم تنل به عني • منك فلا حول ولا

قال وكان من عادة عبيد هذه الجزيرة أن يلعبوا التمايزات
الاشارية ولا يخفى ان الاشارة هي أول لسان للطوائف البشرية
ومذرات ورد بعضه تلك الالعب همت بتقليدها وانقذت
في الاشارة بيدها وجيدها وكانت سمعت من أمها حكايات
عديده فكانت لا تقاد منها الا الاشياء المفيدة فكانت تائب

نارة وحدها ونارة مكان سرجان بسامدها بأن يصاحبها بمزهره
 ويزيد عليها بعضا من مساخره وطالمماجن الليل علينا ونحن
 في الغاية جالسون وكلنا ببعضنا مؤتدون فبيت على النجم
 انما بت تحت الشجر لا خوف علينا ولا ضرر فاذا أصبحنا
 ذهب كل الى داره فبما على حالها لكثرة الامن في هذه الجزيرة
 وأهلها

وكان أسعد الايام على الولدين مولداهما تنهما فانه اذا أقبل ذلك
 اليوم عليهما تبيت ورد جنة ساهره لتعظم ما تقدر عليه من
 الاطعمة الفاخرة وتذهب في قد يبعثه الى كثير من فقراء
 الجيران الذين لا مقدرة لهم على المطاعم الصالحة ثيرة الالوان
 وكان اعتذارها بقلة الموجود حين كانت تجود أو وقع في نفس
 الآخذوا كثر شكرها وأعظم عند الله ثوابا وأجرا

وتقدم شب هذان الشبان على سنن الجميلة الاصليه ونشأ على
 سنن الجميلة العزيزية لا حاجة لهما الى اتخاذ الساعات لمعرفة
 الاوقات ولا لقراءة الكتب للاطلاع على ما مضى في سالف
 الحقب بل كانا يقرآن المواقيت بالظلال والفصول
 بالشمس والسنين بالفلل فكان اذا حان وقت القدا ولاح
 زمن الزوال وبدا تقول ورد جنة لاهما قد استوت شجرة
 الموز بظاهما واذا ولي النهار وعزم اليوم على الفرار قالت شجرة

النهر الهندي أغان ورقه وأغمض حذقه أوقالت لها جاره
 متى الزبارة قالت لها في قصب السكر زوركم ونتهني به وبكم
 فتجيبها بكلام منه أحـ لا بأن تقول لهما أهلا وسهلا وكم
 مرة قال لي قبول وما أحسن ما كان يقول أراني كلما قابلت
 وردجة وخـ لموت بها فجاشرت عليها وقلت لها اني كلما
 رجعت من أشغال وأراكي وانظر فيك صنع من براكي زال عني
 تعبى وذهب ظمائي وسفبي وان كنت على شرف الجبل وأنت
 في الوادي حن اليك طرفي وفؤادي ورأيتك بين الروض
 وشجره أحسن ما يلوح من زهره وثمره

شعر

واذا مشيت لدارنا فأرى القطا

وصفارها أروى وأبطام من مشى

أوقبت عن عيني تحت أريكة

تخيل في جسمك في الجفون وفي الحشى

واذا لمستك طامدا أوساها طرب الفؤاد من المسرة وانتا

أنذ كرين يوم حماتك على ظهري وعبرت بك النهر وأنا أجرى

صكاني رزقت بحملك جناحين أوزددت على رجلي رجلين

آخرين وأنت قبل ذلك أمياني السير فكنت بحملك أن

أطير فبأي حسن بهرتيني وأى جبر حرتيني ان كان

بعقلك فامهاتنا كبر مناعلا أركان بجناتك فهما أحسن منا
 قولاً وفعلًا أذن نك لكثرة ما أنت عليه من الطيبة فانها
 نيك عجيبة ولم أنس ما صنعتيه مع الجارية الفارة وما فعلت
 معها من الأمور السارة فخذى هذا الفرع المزهري من الليمون
 فانه أحبه نبي بين القصور عطرى به عند النوم فرائك
 واجعله واسطة لانتراحك وانتعاشك وكلى هذا الشمع
 بعسله الشهدى فقد جنيته فوق الحضرات بيدى ثم اعطى
 بكلمتك على قاي لاستريح من تعبى فتقول له وردجته واحبيها
 وفرة عيناه والله لانت فى عينى أبهى من الشمس اذا طلعت
 وأبهج من الرياض اذا أبلعت وان امى وامك لاحب الناس الى اذا
 أكرماك وبابنهما اسمك وان توددهما إليك اللذ من توددهما
 الى وتحننهما عليك ألطف مندى من تحننهما الى نسألى من
 وجهه انك تحبني ولاى شئ تريدني أما علمت ان من يتربون معا
 يتحابون طبعاً فانظر الى حماةنا الذى تربى فى دارنا
 نرى البعض مع البعض ان طار فى السماء أو نزل على
 الارض واسمهم كيف يتنادمون ومن فرع الى فرع يتراسلون
 انى والله ما سمعتك تعبت بمرمارك وانت على الجبل الاوصداه
 الى واصل فأعبدت غنمته بصوتى وأجشو على الارض لو قنى
 وأدعو الله ان يحفظك ويقيمك ومن كل سوء يقيك فلاى

شيء تنوغل في الغايه وتنب نفسك بهذه المشايه ألبس عندنا
 في البسنان من تلك الازهار كمنه من جنى الاثمار انظر
 كيف تصببت عرقا وزدت من حر الشمس حرقا ثم تمسح
 جهته بمنديلها وتقطف ورد خده بنقيها
 قال وبينما هي على ذلك مده تلوح كالورده اذا صبت بداء
 مجهول وأمر مدهول بأن تقرب ياض يديها باحمرار وأحمرار
 خديها باصفرار وظهرها بالهزال وانطفئ سراج وجهها
 وزال وتغير مزاجها فصارت تغيب بلا سبب وتخضر بغير
 طلب وترك ما عليها من أشغال العيله وصارت تهرب
 والاماكن المعتزله وصارت انشأت قبول تهرع اليه وتلقى
 بنفها عليه فاذانت منه وقفت ونجرت واحمرت منه خيلا
 وتغيرت فلا تقدر ان تنظر اليه بغيرها ولا تمسه يديها فيقول
 لها قبول ودمعه على خده سبول

شعر

لكل شيء لما راك تحبلى • بحلاه وزاد لطفها وزينه
 وأرى الطيرتها حكام سرور • ولما ذأرا كانت حزنه
 ثم يقرب منها البضه • قهرت منه لاهها ولم يعرف قبول
 ما الداعي لذلك وما السبب فيه ما هناك

شعر

وإذا أصاب المربعض مصيبة • كرت عليه بعدها أضعافها
 قال واتفق أن هاج الحروا شتند حتى لم يقدر على التنفس أحد
 وحات الشمع في بروج الحمل والنهب الجوب بالنار واشتعل
 وهبت رياح السموم وثقت أبواب الجعم وأحلت الأرض
 وتشتقت وبيست الحشايش وتخرقت وأقحط البحرى
 والقفار وغاضت عيون الأنهار قل نرى سحابة من البحر
 منبهه ولا نظرة من السماء نازله بل تكاثرت الابخرة الصفرا
 وتبدلت الخضر بالحمرا وصارت الشمس عند غروبها
 كالخريق ودخل الليل مع الكرب والضيق وأحاطت بالقمم
 هالة حمرا وانتشرت في الجوخبالات سمرا وضاعت المسالك
 والمائى وضعت الناس والمواشى وشعت الموارد والمرعى
 وزهقت نفس المرعى والراعى وانتشر خشايش الأرض وماج
 بعض الناس في بعض وأحاطت الحشرات مرفاة مائى
 بالحيوانات لتزوى من دمائى

فأحست وردجنة بازدياد دائها ولم تكن تعثر بدوائىها فصارت
 تقوم وتقع وتضطجع وترقد فلا تجد الراحة على أى حاله
 وشئت من النجاة لا محاله ثم توجهت لنفسية فرأت عينها
 معافو رار العيون زائده ومبهاها مع انتشار الحيرة باردة
 فأنهست بكليةها وجلست على حوائىها

شعر

خلفي داوود ما ظاهرا • فن ذايداوى جوى باطنا

وقال آخر

سحت من لوهتى وشدة شوقى • الحريق الحريق فأنقض صبحى
 وأتوا بالمياه نحوى وقالوا • أين ذاك الحريق قالت بغلجى
 قال فاما البتل ظاهرا جسد بها وخف عنها بعض ألمها تواردت
 عليها أفكار تقايس وتصورات أبكار وهرايس فتذكرت
 انها وهى صغيرة كانت أمها تنفسها مع قبول فى هذا المكان وان
 قبول قد أنقذه بعد غاية الاتقان بان نحت به حوضا وجعل له
 من الرمل الأبيض أرضها وفردس حوله سائر أنواع الرياح بين
 وأغلب ما تزان به البساتين وجهه حماما للورد جنة وخلوة
 لها من تنكته ثم رأته عابها خيال شجيرة فى الجوز المغروستين
 يوم ولادتهما وانهما التفتا إلى بعضهما تفكرت فى حبها القبول
 وأشار لسان الحال منها يقول

شعر

أنفوس الصدها حيث فضائل • جلت براعتها بشير رواح
 كتنفوس الحسنة فى المرأة • نظرت محاسنها بفكر زواج
 ثم تفكرت فى الليل والخلوة وانها كالعروس عند الخلوة ففرغت
 من الشجيرة بين الممتنعين ومن حرارة لم تطفئها مياه العين

وحملت الى أمها عاضة بفسهما على كعها وكلما بدلتها ان تبنت
 ما تلقاه وان تنصح من نهواه غلب عليها الحياء فمستكنت
 وقبضت على يداها وأمسكت واتكأت على صدر أمها وبكت
 قال فظننت أمها بالخبرها وعرفت حقيقة أمرها وقالت لها
 يا ابنتاه بني حزتك لمن بيد الموت والحياء والهلاك والنجاة
 فانه تعالى اذا ابتلى في الدنيا يشيب في الاخرى واتشاق تلك الدار
 بهننون وبالمحافظة على اعراضه ضاموكون قال الرازي ثم
 تصاعدت من البحر ابحرة كيفية فتجاذبت بها الجبال المنيفة
 وصارت رؤسها ترمى بالمرر كالقصر فكانها جبال صخر
 ثم مال السيل واستوبل الطل وامتلئت القدران
 وجرت الوديان حتى صار الخوض كالبركة الكبيرة وصار محل
 العشبين في وسطه كالجزيرة وأصبحت فوهة الوادي كصب النهر
 يخرج منه تياره طمى فيصب في البحر وبقيت السكان تحت
 سقوفها تلهو والله وأصرخ وتستغيث والريح تدفع وكنت من
 شددة لعل البروق ودخولها في المساكن من الخسوف ترمى ان
 الليل صار نهارا وان الجوع لم يشموسا وأقاربا وقبول مع
 هذا يخرج من مكان الى مكان ويصلح مع العبد ما يحتاج اليه
 العتقان وكلما رأى أهله في خوف فزاهم وأوعدهم بالفرج
 أو مناهم ولقد أراهم فسموا برأسمه اذ من قليل نفعت

العواصف وسكنت الرياح القواصف وراني الجورا عند
وسرى نسيم الشمال

شعر

وقع الجنوب مع الشمال بفقدده واستعملا حرا غناك طويلا
حتى رأينا به ذلك هو الجنوب • بجند لاوه والشمالي طويلا
فأول ما اشتاقت وردجنة الى روبة شئ من الاماكن ومالت
لأنفسه فيه من المساكن كان الى مخدعه ما تلتقيها وتلفها ولعل
استراحتها كان تشوقها وتشوقها فلما رآها قبول دني منها مع
الجلجل ومدبده اليها وهوم من الهجر على وجل لكتها قبلته
واستعجبته وأحبت بجانبه منلما أحبت به وخرجا معا
والجورا بين والهو المنتزه لائق قد خلا البستان وقد خربه السيل
وأوقع به الويل فاقطع أشجاره المثمرة وذهب يقضياته الزهرة
وملاء الماشي بالاشجار وردم حمام وردجنة بالرمل والاحجار
وأما الجوزتان فلم يصبهما اذا بل بقيتا على حالهما وحيدا ولا تسيل
عن المجالس المنضلة والعاكف المنظلة ولا الطيور الصادحة
مما جرى لها البارحة فانه لم يبق الا بعض أفراد على رؤس الجبال
يدين ما أصاب أفراخهن من الوبال فحين سمعت وردجنة بكاء
الطيور تحبسه ومانا لهم من تلك المصيبة قالت لقبول انظر
ما حل بالطير الذي ألقته والشجر الذي كلفته فلا أمان من

تقلب الأيام وكل من عليها فان وربني وجهه ربك ذي الجلال
والاكرام

فتنظر اليها قبول وأنشأ يقول

لو أن لي في السماء شعباً • لكنت أوجهته اليك
أو كان في الأرض لي متاع • قدمته بين راحتيك
لكنني معدوم ومالي • سواد موعى وقفا عليك

فاحمـر من ذلك ورد خـديها وحـصرتـه بين يديها
وقالت له عندك صورة ورثتها من أبيك وهي لك بغير شريك
وقد قالوا عليها انها صورة أحد العباد وامام الزهاد فلما طمأنها
أنبـر كـبـها فأشار برأسه طومالها وقام مسرعاً الى دار أمه
وأتى بالصورة في كفه فلما أخذتها أفسدت بالله أن لا تمسك
منها أحدا وأن تحفظها معها دائماً وأبداً فلما سمع مقالها وحقن
صـديـقها وأمانتها هم بـتـقبيلها فتفـجرت وتخلعت من يديه
وفرت فأخذه من الهب زياده لما رأى ذلك منها على خلاف
العاده وبقى متعبراً في أمره من شئ لم يره طول عمره

قال الراوي ثم إن أقهران خرجت يوماً من بيتهما وتكلمت مع
الست بدور في زواج ابنتها ابنتها وقالت إن لأحدهما عند الآخر
مترلة عظيمة ومحبة جسيمة وإن ابنتي وإن لم يدر بأمر الزواج
ولم يكن إلى النكاح يحتاج لكنه إذا بلغ رشده وصارت

أعضائه مستعمدة لا ينفع الحرس وأبهما ولا يمكن الاحتراس
 منهما فقالت لهما انهم صغار وفي غاية من الفاقة والاضطرار
 فان نحن الآن زوجناهم وفرحنا بهم ندمنا قد اهل حاله أولادهم
 وربما لا تجد ورد جنة فورة على تربيتهم وأنت تعلمين علم اليقين
 ان صيدك قد باع الهرم وجاريته صارت كالعدم وأنا من الهرم
 وكثرة الهرم صرت غير قابله لخدمة العائنه سيما ونحن في البلاد
 الحارة التي تهرم الانسان قبل الاوان ولم يكن انما ممول الا
 في ابنتك قبول فاصبري حتى تقوى بيتك وتطهر قوته فيكون
 عضدا وساعدا وعلى العيشه يساعدا لانا كما تعلمين على
 فاقه وابصر انما على الكدم طاقه وما ضر لو ارسلنا ابنتك
 الى الهند بخصم التجاره ليدخر منها أدخاره ويعود مع النطارة
 والمهارة

شعر

ويحرز الاصناف والنقودا • ويشتري الجوار والعبيدا
 وبعد ذلك يهرده في الله • تزوجه بورده جنسه
 فانه كقولها وأهل • ولم يكن لها سواه بهل
 ومع هذا انه تشير جارنا • فهو على فاقته جار الهنا
 ثم الهنم بعد ذلك أحضروني وفي هذا الامر استشاروني
 فاستصوبت رأيهم وقلت لهم ان بحار الهند جميله وأخطارها

قليله سيما اذا اخترنا من الفصول فصلا لطيفا ورأينا البحر
فيه من العواصف نظيفا نجتمع لقبول مقدار من البضاعة
وعندنا من التجار الذين يحبونه حماءه فلا يغيب الابعاض أسابيع
في الذهاب ومشاهاى الاياب ولانا خذله غير القطن والابنوس
فانها عندنا كثيرة غير مطلوبة وأما في الهند فانها مرغوبة
لان لها عندهم قدرا عظيما وتحتاج سيما ثم أوردتهم بأن
أشانه الحاكم من هذا القبيل وان استأذنه من الرحيل لكنى
رأيت أن أنكلم قبلا مع قبول وانظر كيف يقول
هذا ولما ان قابله وكلمته وبذلك القضية أهملته تهيئت من
جوابه الى وما استعمله من الرد على فانه ناشئ عن ذوق سليم
وخبير عليم وذلك انه قال لي كيف تريد أن أذهب من هنا
وأترك أهلى لأبحث عما يسمنونه بالقنا هل في الدنيا تجارة أو
بضاعة أحسن من الذراعه أليس الرحا يكسب فيها المثل
خمسينا وربما بلغ مائتا وان أردنا تسيره فهي هنا ممكنة
في جميع الأزمنة بأن نأخذ ما يريد من المؤنة ونذهب به الى
المدينة فنكسب كثيرا من النقود ولا نحتاج الى وجوه الهندود
فان قالت أمهاتنا ان العبد والجارية قد هربا وفي الحين نقدا
فهما أنا شاب ذو نجابة وكل يوم ازداد قوة ومهلا به وربما
ترأتني في السفر نازله أو حصلت لي حاصلة فأكون سببا

في مصيبتهم وداعيا الى بلية هم سيرة اوصحة ودرجته الآن
مخرفة وأنا لا أنزكها وهي بهذه الصفة

وفي الواقع انه حينئذ يجوابه وأدهشني بصوابه وكانت الست
بدور أطلعتني على أمر ابنتها وانها ما عزمتم على هذا الأمر
الا لصيانتها فقصدت أن تبعدهما عن بعضهما مدة حتى
يباغ كل منهما أشده وما أظن أن قبول كان بينهم بمثل ذلك أو
انه يتجاري على ما هنالك

قال وبيدنا نحن في تدبير ولا نعلم بما جرت به المقادير واذا بخطاب
ورد لاستبدور من عند خالتها وكان الباعث لهما على رسالتها
انها مرضت بدهاء الا زيموا وقيل بالانيميا وهو داء لا شافي له غير
الموت ولا يخلص منه الا القوت ولولا لما حن قلبها على ابنة
اختها وما كانت يومئذ فكرت فيها فطلبت منها ان تخبر
عندها ان أمكنها والا فلا بد من ارسال ابنتها لانها نوت على
تربيتها وانها ستزوجه بأحد وجوه الدولة وان تخليع عليها
شرف العيلة ونهبها مالها ونجود عليها بما لها وجعلت قبول
ذلك شرطاً في ارتجاع الالفه ومجديداً المحبة والمعرفة

وما تمت قراءة هذا الكتاب الا وحصل في البيت انقلاب
وانتشر الهم والغم وبكى مرجان ومريم واندحش قبول
وسكت ونظرت ودرجته الى أمها وبكت فقالت أفح وان

كنت بدور هلك في السفر والقطيعه حبانك الخالة
 الشفيعه فقامت معاذ الله أن أترككم وأنا ما عرفت السعادة
 إلا بكم فان صحتي ما انحلت ونبتي ما اضمحلت الامر هموم
 قدومه وامور وخيبه منها فودع اهل وموت بعلى وما
 هنائي ورسلائي وفرج كربى وأجزائى الاجتماعى بكم
 ووجدى مكم فكم هاهنا في هاتين العشتين الممره
 ولقيت في ظلالها الممره والمبره ورأيت عالم أراه بين أهل
 وناسى بالباد التى هي منظر أسى وما عرفت من قولها حتى
 طابت نفوس الحاضرين وفرت عبودهم أجمعين وقام فيقول الى
 كنت بدور وضما ثم بعد ذلك قال لها وأنا الآخر لا أسافر
 الى الهند أبدا بل أبقي هنا في خدمتكم عبدا وغن لنا
 محتاجين الى شئ من البلاد الاجنبية والاضروج من تلك
 الجزيرة البهية فانشرحوا كلهم الاورد جنة فانه ابقيت مشغولة
 البال ثم بعد قليل صرف عنها الاله تغال وزال وانبس طوا
 أجمعين وباتوا بما لديهم فرحين

فلما أصبح الصباح وانتشرت الانوار في البطاج حضروا
 الصلاة على حسب العادة وأحضروا الفطور بالطريقة
 المعتادة فأنخروهم مرجان من أمير مقبل على حصان وورائه
 من العبيد اثنان وكان ذلك القادم هو حاكم البلده فترجل

ودخل حاجهم وحده فوجدهم كلهم حاضرين وعلى المائدة
 قاصدين وكانت وردجنة قدمت لهم شربة من الارز والارز
 وفاكهة من ثمر الموز ثم شيا من عسل البطاطس في صحاف
 من القرع اليابس فاماراهم الحماكم على تلك الحالة تأسف
 وأقبل على الست بدور وهو يضرب كفا على كاف ويقول ان
 اشتمت على بامورهموم العباد الهاني من الالتفات الى خصوص
 الافراد ولقد اخطأت في عدم السؤال عنكم وأطلب
 السماح منكم لكنك ابتها الست بدورك خالصة من الاكابر
 واغنياء أهل الجزائر قد أعدت لك أموالها وسلمت لك
 أمورها وأحوالها فهل لك أن تسافري لها وتبقي عندها
 فقالت له بالبقني أقوى على السفر وليت مزاجي ما كان تغير
 فقال لها ان كان الامر كاتذ كرين وانتك هنا من القاصدين
 فأنظري الى ابنتك هذه وفاقتها ولا تهرميها من ارث خالتها ولا
 أخفي منك ان خالتك قد استعالت بالحكومة على جلبك
 فبادرت في طلبك وكتب الى الديوان مع الاستبجال ان تستعمل
 القوة ان اقتضى الحال انما المروف مني وشفقة صدرت
 عني أنيتكم مع اللطف وما اتخذت الا لطف ولا الهذف وفي
 أملي انك تستعين من ابنتك بهض سنين وهذه المدة يدني
 عليها اصلاح أحوالها وأحوالك وازدياد أموالها وأموالك

ثم رب الله عليك لاى شئ يترك لانا انسان ووطنه ويعذب روحه وبدينه
وبهاجر الى مثل هذه الجزيره مع مكابدة المشق والحريره أليس
لكسب الدراهم وجلب المنافع والمغاسم فمأغرى الانسان
بهذا العذاب ان أمكنه فى وطنه ذلك الا كذاب

ولما فرغ من قوله وضع لهم كيدا مملوا فلوسا وقال لهاخذى
هذه الدراهم من قبل خالك قد أرسلتها لشترى لوازم سفر
ابنتك ثم النفقت لست بدور وقال لها وأنت لم لاترورىنا وفى
بعض حوايجك تسقط علينا حقيقة ان هذا منك عدم اعتنا
وقصور منك فى حقنا

فقال له قبول ان أمى قصدتك فى أمرها فإكل منها وأنت
عندك فأأكرمها فقال لها كم لست بدور أنك ولد آخر فقالت
هو ابن صاحبى وهو عندى فى المعزة بمنزلة ابنتى فقال له لها كم
يا ولدى أنك اذا علمت باحوال الدنيا عزرت ذوى المناصب
العليا من ذوات الامور تلبس عليهم بعض الاوقات فيمتزلون
الطبيب مكان الخبيثين والخبيثين مكان الطبيبين ثم انهم
يجلس معهم فيجلس وأكل من طعامهم واثتفس
الى ح من نظافة بيوتهم على صفرها ونظام أمتعتهم
على حقارة قدرها وعجب من اتلافهم ببعضهم وبذل جهد
خدماتهم بهم فقال ان أوانبكم وان كانت من الفخار يظهر

عليها الحمد والغفار لاني أرى عليها من اللطف طـلاوه
ومن الساذجية حـلاوه سيما وباستعمالها بين اناس مثلكم
كرما أصدقاء بينهم عظما تظهر بهجتها وجمالها وبشرف
استعمالها

فسر قبول من أدب ذلك الحماكم وثبت عنده انه عادل غير ظالم
فقال له اني ليسرني أن أكون من أصحابك وان أنتظم في سلك
أحبائك لانك من أطيب الناس ذو درجة بالغة في الاناس
فشكره على هذا المقال وصالحه مصالحة الرجال وأوعده
أن يكون له معينا وصادقا وأميننا ولما انقضى الطعام ونفر
الكل الى القيام أخذ الحماكم الست بدور وحدها وانفصل
بها عنهم وقال لها اليوم تخضر سفينة من السفن المتوجهة الى
الجزائر ولا بد لابنتك فيها أن تسافر واني لمصاحبها بأمر آدم
أقاربني وأعز حبابي فأوصيك أن تنتهزي هذه الفرصة
الممكنة وتستغني عن ابنتك قد رسنه حتى تنال هذا الميراث
العجيب وترجع عندكم بالفرج القريب ثم قال لها وهو خارج
من عندها اعلمي ان خالتك لا تعيش الا سنة أو سنتين وقد
أخبرني بذلك من رآها بالعين فتفكرى كما تفكرت وتأملى فيما
ذكرت واعلمي ان الغنا لا يسرف في كل الاوقات وانه لا ينفع
الندم على شيء فات فقالت حيث لا بهـمني الا هي فقد فوضت

أمرها اليك ونوكلت على الله ثم عليك قال وما صدقت الست
 بدوران لأحت لها هذه الفرصة حتى انتهزها ولا ظهرت لها
 تلك الطريقة في إبعادها من قبول حتى اتخذتها ليكون
 اجتماعهما بعد ذلك أوفق وزواجهما قد وجب واستحق ثم
 أنها أخذت بنتها وحدها وشرعت تفهمها بما بدا لها وقالت
 لها إن خدامنا قد طعنوا في السن وقبول صغير لا يتقن أمر
 المديشة ولا يحسن وأقبحوا أن أمه قد هربت وأمك في السن
 قد قدمت فإذا كنت حالاً بعدى وأنا فقيرة لا شيء عندي
 وأنت في مكان قفر لا مال عندك فيه ولا وفر لمن ذاب قوم
 بخدمة منك ويسمى في مؤنتك وإن ألبأتك المديشة إلى السكد
 نستغلين في فلاحه الأرض مع السكد فكلما أفكرت في عاقبة
 أمرك بعدى تقطع قلبي وكبدى فقالت لها ورددته بأأماء
 لا حول ولا قوة إلا بالله إن الله خلقنا للسمى والاشغال وأنت
 عودتني على ذلك في جميع الأحوال

شعر

والله ربّي وهو حسبي وكفى • قدس ترالبدأ فترجوه الوفا
 لم ينس قط في الزمان الأزل • فكيف ينسى في الزمان المقبل
 وهذه الرقة في العباد • لك يا أماء • مستفاده
 وإنني لأستطيع البعدا • من هاهنا طرفة عين أبد

فقلت لها أمها وهي في أشد الغصص وقابها يذوب من الغصص
 ان قصدي بسفرك اصلاح شأنك وعلو قدرك ومكانك ثم
 أزوجهك عند العودة بقبول والله وكيل على ما أقول فانه كفؤ
 لك وأهل لان يكون بملك (قال الراوى) واعلم ان البنت اذا
 عشقت ظنت ان لا أحد يعلم بحالها وان لا مطلع على ما فى باطنها
 وان الحب الكامن بين جنبيها لا يظهر للناس من عينيها فاذا
 حركت يد الحبيب أنفجانها واستكشفت ارجائها واركانها وكان
 ذلك الحبيب قريباً ما يبالي بالدعوات محبباً آمنت تلك البنت
 وسامت وبما فى ضميرها تكلمت وان ورد عنه حنت للطف
 أمها بها وباحت لها بسرها واسفرت لها عما وراءها وظهرت
 ما لم يعلمه الا الله فعذرنا أمها على عشقها ولم تعنفها على كثرة
 شوقها بل خافت عليها من الفضيحة وشرعت ترشدها
 بالنصيحة فتجاسرت ورد عنه وكثرت قواها واكثرت لأمها من
 شكواها وظهرت ان لا سبيل الى الفراق وانها لا تخاف
 من أحد على الاطلاق

فلم أرأت الست بدوران تالطفها بايذنها وما أظهرته من أمنيتهما
 لم يفدها غير الخالفة والعصيان والميل الى هوا النفس والشيطان
 قالت لها يا بنتاه لا تتريب عليك فالامر مفوض اليك فانقردى
 بنفسك وتديبرى وامكشى وحدك وتفكرى وان كان عندك

بعض من المعقول فلا تطهرى عشقك لا قبول
 ان الحبيب اذراك تحبه • كتم الوداد و أظهر السلوانا
 وبينما هما يتحدثان وحدهما وقد جن الليل عليهما و اذا بشبح
 نقيه قد أقبل وسلم عليهما حين دخل وكان من فقهاء تلك الدور
 قد اعتاد على قرأته في بيت الست بدور وقد كان أرسله الخاكم في
 خدمتها وان يؤكدها في سفر ابنتها فقال عند دخوله وبجود
 وصوله الحمد لله الذي أغناكم به الفقر وعوضكم خيرا بعد
 طول الصبر فتواصوا خيرا بالمساكين فان الله يحب المحسنين أما
 بعد فقد باقنى ما قاله لكم حاكم تلك الجزيرة السيد البردني
 صاحب النعم الكثيره وأعلم ما صدر عنه من القول المفيد الناشئ
 عن الرأي السديد فاما انت يا بدور فسفرك من هنا غير
 مقدور فان صحتك اعتلت وعافيتك قد ولت واما انت ابنتها
 الصغيرة فلا عذر لك في السفر ولا بد من تسليمك للقضاء والقدر
 وان تطيعي أمر الاقارب وان ظلموا وان تسلمي لما به حكم و فان
 سفرك وان كان لأحد ير ضاه فهو على ما حكم الله فلقد أنزل تعالى
 في كتابه العظيم على لسان نبيه الكريم قل لا أسئلكم عليه أجرا
 الا المودة في القربى وان سفرك ان شاء الله لنعم العقبى أفنعم من
 الله ما أمر أم تسامين للقدر
 قال فاطرقت وردجته زمانا برأسها وهي لا تشعر بنفسها ثم

قالت وهي ترعد ولم تكن عن المقصود تبعد حيث ان الله اراد
فلا بد ان يقضى المراد ثم بكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد
وذهب الفقيه لاجلهم واخبره بالنجاح وقال له ان وردجته
رخصت بالسفر ولم يحتاج الى الحاج

أما الست بدور فانها احضرتني وفي سفر ابنتها السدشارتني فإ
رضيت بسفرها وما اعجبني رأيها بل قلت لها ان الغنى في
الخبرات الطبيعية لا في الثروة المالية وانما اذا مد مناشياني
أرضنا فلا حاجة لبحث عنه في أرض فبرنا وما تركت الاوائل
كلمة لقائل

فيم اقتحامك البحر تشربه • وانت بكفك منه مصة الوشل
وقال الشافعي

ام طرى لؤلؤ اجبال سرديب • وبفيض ابارنك ورنسيرا
انا ان عشت لست احرم قوتا • واذا مت لست احرم قبراً
واذا مارضيت بالعيش قوتا • فعلى مازورزيدا وعمرا
وقات في معنى آخر

وايكن ما عسى يغنيك زهي • اذا اغراك بالطمع افتتان
وان اصمالك في الدنيا طلاب • فإغنيك من وعظي بيان
فان الست بدور ما السدشارتني الا في الظاهر ومراعاة
الخواطر لانها كانت أعطت الفقيه قولا واصرت على سفر

ابنتها من باب أولى وأما الفخوان فمع علمها أن سفر وردجنه يعود
بالخبر على ابنها لم تزل تتوقف في السفر وتظهر منه إلا إذا
والضجر ولما رأت أن توففها لم يجتنعها وإن السـفر تختم قطعها
رجعت عن المعارضة والمناقضة وسلكت مسلك المفاوضة وكان
قبول يجهل باطن الأمر ويتعجب من مسامحة نهم في السر ومن
خلوة الست بدور بينها وانفرادها بمكالمتها وقال انهم يتحدثون
من قبـلى ويتغامزون على شئ من أجلي

ثم لما أشيع بين أهالي هذه الجزيرة أن الغنا زاد أهلى تلك الجزيرة
نزلت التجار اليهم من كل الجهات واحضرت كامل البضائع
والمهمات كالشاهى والكشمير واقمشة الصوف والحرير
والخر الشامى والديباج الصنعانى والاطاس والحرير وما
يصطنع بالبلد وما يشـتغل بالابر وهكذا ما يذهب بالذهب
ويودى بالمال والنشب

وقد خبرت الست بدور بنتها فى مشترى ما يحبها وأخذما
بالذهب وهى تفصل لها الاثمان وتعطى الدراهم لصاحب الخمان
ولم تختار وردجنه الا ما أعجب أمها وأعجب أقحوان وابنتها بان
اشترى هذا لك وهذا ليه وذال لا بعد هذا للخيار به حتى نفد ما فى
الكيس من القروش فى ثمن المرسوم والمنقوش ولم يبق فيه
اثر ولا ما يستعان به على لوازم السفر وكانت هذه الثروة

الباهرة وتلك الاقمشة الفاخرة تفتبر عند قبول بمنزلة مصيبتة
 لانه يترتب عليها سفر حبيبته فبعاء عندي بعد ذلك بأيام وهو في
 غاية من الوجد والهيام وقال لي وهو في أعلا درجات الغم وجسمه
 مهزول من شدة الهم ان اخني شدة لفراق رحالها وعاشت
 بالسفر آمالها فبالحمد عليك الاما جئت عندنا وسعيت بالنصح
 بيننا والحلت على أمي وأميها ومنعتهما من سفرها فقلت له سمعا
 وطوعا ولا بد لي في ذلك ان أسمى قال فتوجهت اليهم ودخلت
 يوما عليهم فرأيت وردجته وكنت بالقماش الازرق استمعها
 وبالعصابة الحمراء استسمعها ففاهيك بها وقد رأيتها في آنف
 الملايس وأغنا الحرير والاطالس تخب في بطاش ورديه وتغر
 في أذيال عبقرية قد انخفض خصرها النعل لما ارتفع ردفها
 الثقيل وانصببت تيجان ظفائرها الجعدة ان تفسد
 حروف أجفانها الا يجديه وخففت رآيات قلبها التي
 تنال فاذكت نار الوجعات ومرت صوتها بأرق النغمات
 وكان اجتماع تلك الزينة المفصولة على هذه الذات المحبوبة سيديا
 اهزال يرثي اليه وقتور يبكي عليه فنظر اليها ذهبت بلبه
 وأخذت بمجامع قلبه ولقد زادهم قبول وغمه حتى أشفقت منه
 اتعوان أمه وقالت له يا ولدي لا تمكن تلك الا باطيل من ذنك
 فيعود الحرمان منها يا لاذاء على بدنك اليوم أعرفك من أنت

ومن أنا وما السبب الداعي لهذا العناء الذي تشألى من الزنا أما
 أنا فاني قطيعة دهر وحليقة ضعف وفقر خرجت من بلدى بائه
 فقبر وجئت لاء عيش في هذه الجزيرة واما ورد جنه واما فانيهما
 من الاكابر ولهما خالة من اغنياء اهل الجزائر فلم يقهم قبول
 ما منى الزنا وسأل امه هل هذه اللفظة من الفاظنا فقالت له
 نعم لان اباك لم يأت بك الا في السفاح وما عقده لي مقدمة النكاح
 وكنت عشقته وانا بكردع وان فأوقعت نفسي في ذنب لا يعموه الا
 الفقران وجئت انت باسم با كورنه وأول ما طلع من ثمرته
 فأحرمت به من نسبك الى ابيك وحمك وترتب على كفارة ذنبي
 حرمانك من عائلته أمك لاني بعد هذا هجرت بلدى وجئت هنا
 بك وحدى فحسرت يا مسكين صديق الاهل والاصحاب ليس لك
 غيري من الاحباب ثم بكيت وورلوات وسجعت وحولت فأمسكها
 بين يدي وضوءها في ذراعيه وقال لم يبق لي في الدنيا غيرك وليس
 لي خير الا غيرك وهذا سبب لان احبك - بين وأقوم بخدمة منك
 مرتين وما أعظم سرعاليه أطاعتيني والله لقد أراشدتني
 وهرقتني أجل ان هذا سبب في ذنور ورد جنه منى وداعيا لعدم
 سؤالها منى فان لها شـهران وهي عازمة على السفر فلا شك
 ان قلبها منى تفر

قال ولما جاء العشاء وجلس الكل على المائدة كان جلوسهم بغير

فائده اذ كان لكل منهم شأن يغنيه وشاغل يشغله ويباهيه
 يا كاون قليلا ولا يقولون قليلا ثم ما أسرع ما قامت وردجته
 أولا وجلست في مكان غير بعيد في الخلا فتبعها قبول وجاسر
 بجانبها ومكثت ترافقه ومكثت يراقبها وأنقضت عليهما
 ساعة وهماسا كتمان ولم يعضهما ملتفتان وكانت ليلة نيرة
 ذات سماء مقمرة دائمة الانحفاف والالطاف لا يرسمها رسام
 ولا يصفها ووصاف قد تزل البدر منهنما مستزلة القلب ونشر
 أشعته على الشرق والغرب فباستروها الأرض باب أو بعض
 سحاب كأنه حين تجلي على بساط الخضره بدرع عليه من الفضة
 بدره وكان الريح معه كأنفه والابل مطلقا عنه فلا يسمع في
 الغابات ولا في الوديان لاصوت انسان ولا صوت حيوان الا
 منازعات الطيور في أوكارها ومداعبتها مع صغارها مسرورين
 من القمر وطيباته وسكون الجوف في جميع أرجائه وكانت
 النجوم تسطع في السماء وتعكس خيالها في الماء فتطرت
 وردجته الى السماء وأطرافها وتطاعت حول الأرض
 وأكنافها فرأت على البعد نارقوارب الصيادين ثم كشفت
 نورا وظلا في الميناء على جهة اليمين وكان النور نور قنار البلده
 والظل ظل السفينه التي كانت لسفرها معه وما آخرها من
 القيام الا انتظار سكون الريح وظهور الوقت المالح فلم تارأها

أقشع رجليهما وتفتت كبدهما فالتفت برأسها لتواري بكاها
خوفا على قبول من أن يراها قال وكنت أنا والسب بدور واقعد وان
جالسين غير بعيد عنهما وكنا من هذا الليل وسكونه نسـمع
كلامهما فسمعت قوله وحفظته كله

وذلك أنه قال لها اني سمعت عنك بعض كلام وهو أنك مسافرة
بعد ثلاثة أيام اما تخافين من البحر وأهواله والموج وأفعاله
فقلت له ان طمعتي لاهلى أهم والقيام بتلك الفريضة الزم فقال
أتركينا لاجل حالة مبعده واسرة مقعدة ما عرفيتها وطول
عمرنا ما نظرتها فقلت واحسرتاه كنت ارد ان أبقي هنا مدة
حياتي ولا أفارقك الا عند مماتي لكن أمي لم ترأضيه وقد قال
لى سيدنا الفقيه ان هذه ارادة الله وانما في دهرنا ممن يحزنون فاهـ ثم
آه والله ان ذلك لمن أشد الابتلى وأضر من البلا قال من أجل
ذلك عزمـتى على البعاد وأنه لا مانع لذلك ولا راد ثلابد لذلك من
سبب لم تذكر به وداعيا فى السراض مرتبة وهو حب المال
فيما له من غرور باطل وحيد من الحلى عاطل وعما قابل تجدين
أخا غبرى واذا ذكرت يوما فلا يملك ذكـرى وانك ستختارين
احدا ما لك فى الحسب وكثرة المال والنسب وأنا لا قدرة لى على
تلك الثروة ولا لى بمثل هذه الحظوة لكن ما أظن ان ترماحى فى
أى محل تنزليه او تجدى مدينة أحسن من تلك المدينة أو

تري ناسا مثلنا ربوا على الالفه والمحبه وتمكنوا من العشرة والصحبه
وكيف تعبتين خارجا عن حضانه أمك التي امةدت عليها
وكيف يكون حالها وقد طعنت في السن ولم ترك نصب عينها
وكيف يكون حال أمي وهي تحبك حبا جما ولا تختمل غيابك
عنها يوما بل وماذا أقول لهما وهما يبكيان على غيابك
وبئس مكان على ما أصابك انك اني غاية القسوه وعلى خطر
من هذا الخطوه ثم لا أقول كيف يكون حالى وماء مقدار ما تزيد
الامالى وكيف اذا مسى اليوم وأصبح ولم أرورد جنتك به
فتح وأرى هاتين الشجرتين اللتين غرسهما منذ ولدنا ومكثتا ما
عشنا وما وجدنا وهما يشهدان لنا بالمحبه وطول العشره
والصحبه فاره ثم اراد ولا حول ولا قوة الا بالله شعر

لين تبدلت بنا غيرنا * فحينئذ الله ونعم الوكيل
فيا بك يا ورد جنة ان تقصدي غير قصدي أو تاتقني لغير ما
حصلته من كدى ! وان كان لابد من الترحال كما اقتضاه الحال
فارجوك ان أركب معك في السفينه وان انتقل بك من
مدينة الى مدينة فاساعدك على السفر وأقوى قلبك على خطر
البحر حتى اذا دخيت من البحر وجدني صدرا تستريحين عليه
وقلبا تابعين في كل الامور اليه فانك اذا استرحتني الى صدرى
وقفت الغيبان البحرى أحاركن نار اندفى وعلا جاء من كل داء

يشفي ثم أسير معك من بلد لبلد لعلنا نساعد ولم أزل معك
بمئة رقة الرقيق والخدام الشفيق فأمل أن أكون لك عبدا
وأن أزداد من خدمتك سعدا وجل قصدي أن أراك في ثياب
العزترعين فأصبح بخدمة ملك أعظم وأشرف الناس أجمعين
وهو ما تطالب به أن أبذل الروح تحت أقدامك فقد بلغك الله من
ذلك أنقص مرأى

قال واخترق عند ذلك بالبي والطرق برأسه على يديه وانكى
ثم سمعنا هاهو بيكي هي الأخرى وتصلى النار الكبرى وتقول
أن سفري لا سعي في المال قد أوجب له الحال وذلك لاني أراك
من فلاحه الأرض قد انحنى ظهرك واعتل صدرك وعيل صبرك
وأنت مكدود لغذاء عائلتين ومتعب نفسك على كلا الحالين
فما جئت لي السعادة والغنى الا لا نقذك من هنا واذيقك أيام
الهناء حتى أكافي نعمك وأجازيها وأوفيك ألف مرة على كل
مرة خدمتنا فيها وان السعادة وان بلغت مهمما بلغت من
الدرجات لا تعدل حبي لك في وقت من الاوقات وأما نسبك
الذي تذكر لي عنه فاني لم أرتسبا أظهر منه واني وان خبرت في
الاخوان ما اتخذت غيرك انسان انك يا قبول أعز عندي من
الشفيق والطف في الروض من الشفيق وأني وان كان لي في
فراقك أشد العذاب لا عمل ان تكون ناصحي في هذا الباب

تعيّنتني على سفرى وتمكننى من وطرى حتى يشاء الله فيجتمع
 ونخضع من محاسن الوصول ونبتدع هذا وأنا على عهدك ان
 سافرت أو بقيت وفي ملكك ان مت أو حييت فتصرف في كم
 شئت فاني لولا الحياء لخلعت برقعك عليك ولولا الحب لما
 وقفت بين يديك فلا تشوش ذهنك فان ذلك يعذبني وعلى فراش
 الحمر يقلبني

فاما سمع قبول هذا القول أسرع بضمها وحصرها كالودة و
 كمها ثم صاح مهلا وأشار قائلا

والله لا يمنعني منك ذونشب • ولا أمير غنى شأنه طالى
 والتاس لو حكم واطرا يفرقتنا • لما تصورنهم شيئا على بالي
 انا والله لا أفر عنك طرفه عين ولو قضى الله على بالحين ان
 سافرت فانا معك وان سبقت فانا أتبعك

قال فخرجنا كلمة اليه بحرى وهو من شدة هيامه لا يدري
 فقالت له الست بدور يا ابني وأنت اذا تركتنا في ذاي بولنا
 فأجابها وهو مضطرب من الجنون مقترب ان دعوني بني
 يا ابنك فقد صرتي أمها وأمي وجعلني أخاها وجعلتني أختي
 وكيف تفرق بين بنين الأخوين ونبادر بن بفصل المؤمنين
 اما انك أرضع عينا وعلى ذراعك حملينا فعودتينا من
 الطفولة على الحبه وان لا يبعد بعضنا عن البعض وزن حبه

والآن ترسلينها الى أهل منكبرين بين أمم متبررين أما تنظرين
 لقسوتهم كيف هجروك وهل أنسيت ما فعلوه فيك فان
 قالت انها ليست أختي وانك أمها ولسني بامي واني مقطوع
 الحب والنسب عديم المال والنسب قالت هي حسي ونسبي
 وأمي وأبي فلا أعرف شيا سواها ولا أميش قط بلاها وكما تربينا
 وحدها فكذلك لا نلجده عند الموت لحدها وان هي سافرت فانا
 معها وفي كل مكان لا بد ان أتبعها فان منعهني الحاك من السفر
 فلا يمنعهني ان اتقي بنفسي في البحر شعر

قالت الاتلجمن دارنا • ان أبانا رجل غاير
 قلت فاني طالب عزة • منه وسب في صهارم بازر
 قالت فان البيت عالي البناء • قلت فاني فوقه طائر
 قالت فان البحر من بيننا • قلت فاني ساجح ماهر
 فعمسبك الله بلأفسي الامهات واغلظ النساء والبنات اسئل
 الله الكريم رب العرش العظيم ان البحر الذي تعرضون عنها
 لا خطاره وتودعونها بين موجه وتباره ان لا يرد لها عليك
 ساله ولا يرجعها غائمه وان يغرقها ويغرقني معها وان رمال
 الشط نجمة مني ونجمتها • فكون حسرة لكم على الدوام وكسرة
 لقلوبكم مدا الايام

قال فاما سمعت هذه الالفاظ وانه أغلظ كل الاغلاظ أمسكته

من يديه وقد شهدت علامة اليأس بين عينيه وأنه خرج من
 الأصول وفقد المعقول والمنقول فكانت عيناه كالشرر وكان
 عرقه يتقطر وهو يرأعش برأيه وقلبه يصفق بدقته فانزعجت
 من ذلك وردجته وقالت له يا حبيبي وحق لذات الصغر وما
 أصابنا على الكبر ومن بيده ان يجمع بين الاخ والاخت ويوصل
 بين عاشقين شئ البخت لين بقيت هاهنا لا كوثن خادمة بين
 يديك ولئن سافرت ورجعت لأفضل أحدا عليك وأشهدكم
 بذلك على أيها الواقفون بين يدي فأنتم علمتم صغري وخدمتم
 كبرى والان ترون أدمعي وتعلمون بمقدار توجعي واتمم
 لكم بالله العظيم رب العرش الكريم وبذلك البعير المقدور
 على عبوره وبالقدر المكتوبة على جبينى سطورره ان الذى
 قلته له والحق وعين الصدق

فاما سمع قبول صوت حبيته ذال اغتياظه وانطى شواظه
 وذاد فى خشوعه وجرت غدران دموعه كالشمس اذا
 طلعت على تلج زال وانكسب ماء وسال فبكى أمه على بكاه
 وضمتة وقالت آه وأما استبدور فكانت فى غائس
 الاضطراب واليم من العذاب وقالت لاجلدى على ذلك
 رأسى تصدعت وأحشاى تقطعت فلاحقنى الله هذا الفراق
 فانه المارق أرجوك يا جارنا ان تأخذ قولا عندك اليوم فان

لنا ثلاثة أيام لا نرى النوم

قال فسبحت أدمع وأخذت قبول معي وقلت له ان ورد جنة
باقية بيننا وانها لا تسافر من عندنا فكان علي يمين مما هالك
وفي غدا تكلم مع الحاكم في شأن ذلك وأما الار فلا بد أن
نتركهم يستريحون لعالم بعد طول السهر ينامون فسر بيما الى
داري فان الليل قد انتصف ونجم الهقعة في الأفق وقف ففشي
معي ولم يتكلم وبات في أرق لم يغم حتى ظهر الفجر وطلع وخرج
الى بيته ورجع

ثم سكت الشيخ عن الحديث لحظة لا ينطق بلفظه وقال الى مني
أطيب الشرح في هذه القصة وما الحاجة انما تلك الفصه

شعر

انما العيش كله طرفان * طرف مقبل وآخر فاني
أشبهه العيش كله كرة الارض * ووجه التشبيه في الدوران
فلنا في الضياء يوم نقض فيه ونحت الظلام يوم ثاني
فقلت له بالله عليك الا ما أتممت هذه القصة الغريبة وعرفت
عن حال قبول في تلك المصيبة فان الحديث عن المواهب يلاذ
بمع وبتاديه ومن النوائب يدرب المرء ويعلمه
قال فلم ارجع قبول من عندي وتركني وحدي رأي في طريقه
سريم الجارية واقفه على صخرة عالية تنظر للبحر بتعسر

ودموعها في غابة التحدّر فقال لها قبول أس وردد جنه لا بد
 لو فقتك هذه عن انه قالت فقتت اليه رهي تبكي وتنتعّب وتشتكي
 فارتد قبول على مقبّيه وعلامة اليأس بين عينيّه وسأل عنها
 في المينافأخبروه به فرها وانها حين نزلت في السفينة قامت بها
 وان السفينة قطعت نحو من مشرف فراسخ في العرض حتى غابت
 عن الارض فرجع الى الدار وهو لا يعلم ثم خرج منها ولم ينكلم
 قال وكانت الصخرات المحطية بنا تظهر على بعد انها عمودية
 البنا مع انها كانت مائلة بأسطحه خضرا نقسمها الى مدرجات
 أخرى يتوصل بها في الصعود الى أحجار مرصوصه ففتت سفع
 الركن المسمى بالبوصه وكان تحت هذا ركن عن جانبه أشجار
 شاهقه محاطة بمها ونحرقه وكان لا يزال الغمام يأوي الى هذه
 المحلات ثم ينهدر غدراننا في جميع الجهات فتسير الى بطن
 الوادي بانحداره من وصوت عند السقوط اين ومن جلس
 هناك كشف جزاءه من الجزيرة ورأى جبالا وأجمات كثيرة
 ونظرا البحر وجزيرة برب على بعد أربعين فرسخا جهة الغرب
 فصعد قبول على هذا الصخر المرتفع وقعد في ذلك المكان المنقطع
 وصار يتلفت تلتفت من أصيب بجنّه حتى نظر السفينة التي
 سافرت فيها وردد جنّه فكانت على بعد بعيد وأمد مديد
 كالنقطة السوداء في المحيط الأكبر أو كالنملة البيضاء في البر

الاقفر وبقى طول اليوم يشاهدها وهو يظن بعد ان غابت أنه
يجدها وما زال جالسا والرياح تهبث به وبالاشجار حتى ولي
النهار

قال ولما ان رأته هناك فاعدا وعلى تلك الصخرات صاعدا
وكان سائدا برأسه على الحجر شاخصا بعينه الى البحر تبعته
وتعبت فيه حتى تزل وجاء الى أهله ودخل ومذراى الست بدور
أقبل عليها وجعل يتشكى منها واليهما ويقول لها على م فبدأت يني
وعن سفرهما ما أخبرتني باليني كنت ودعتها وعندك يم
استودعتها لا كون اليوم بارد القلب قليل الهم والكرب
وأكون قد استسمعتها فيما عن غير قصد أسأها وأكون
قد تزودت منها بنظرة وبلايت غلى من ريقها ولوبت طره
وأدعو الله ان يمن عليها بالاسعاد في بعيد البلاد فأطن أنها
تعود وان الدهر بها يجود ولما ان رأى أمه وأمهاتيه كيان وبألم
القول بعد ان قال لهما مبعثا وبهما شامتا انظر اليوم
من يمسح دموعكما ويرأف بحالكما ثم انحنى وبكى وناح من
حر الفراق واشتكى

شعر

وصار يجرى من هنا الى هنا • مبدد الراحة مفقود الهنا
بتظـر كلما رأى كأنه • يبعث عن آثار وردجته

وكلما كان عزيزا عندها • أوسعها زيارة من بعدها

غيره

وقال لها ما وكن تطرنه • اليكن عني فالطابا بطاها
رحاين بمن كانت اليكن برة • تمديك فيها اليكن المطاها
ثم دخل معكفها الذي كانت تأوي اليه • ونظر الى الطير وقد
أقبلت عليه

فقال شعرا

يا ويل يا تلك الحمامة بعدها

فقد أطلعت من وحشيتها الواضحة

فلا أم طرتك المزن بعد فراقها

ولا عطفك يوما عليك المراضح

ثم نظر الى الكلب وهو يفتنص خبرها • ويقتني أثرها فتنفس
الصعدا وبكى حتى أبكى البعدا

وقال شعرا

أواه يا كلب فلا تقتني • مادمت فيما أثرا للعيب

فانما شطت به داره • وما بقي غير البكي والنعيب

وانني والله من بعدها • ما بين جيران وأهلى غريب

ثم جالس على البحر الذي كانا عليه في الامس • وقد كادت تزهق
منه النفس • ونظر في البحر الى المكان الذي غابت فيه من بينه

وبكى بكاء لا مزيد عليه

قال وكما عليه بالمرصاد في كل واد خوفاء عليه من عواقب طيشه
وسوء عيشه ولم تزل الست بدور وأمه يرجو أنه ان لا يهيج بالهم
بكثرة أشجانه وان يتسلى من أحزانه سيما الست بدور فأنها
اتخذت كلمات تقرب الامل وتزين العمل بان قالت له يا ابني
يا حبيبي ويا زوج بنتي ونسبي وحبرته بذلك على ان يدخل
وان يقدمهم على المائدة ويأكل فاما ان جلس معنا على
الطعام لم يباله زاد ولا كلام لان جلوسه كان قريبا من المحل
الذي كانت تجلس ورد جنه فيه وكان خيالها انما يقنع فيه وهي لم
تزل في مخيلته حاضرة كأنها اليه ناظرة فصار يجرد هاهنا من نفسه
ويخاطبها ويقدم لها من الاطعمة ما ينظر اليه بهجتها ومنه علم انه
في ضلال وانه يتحدث مع خيال قام من المائدة حيرانا
وأسال من أدومه طوفانا

وفي اليوم الثاني هم يجمع أوانيها ولم الصحف التي كانت
تأكل فيها وما كانت تستعمله من الادوات الخاصة بها وتستخدمه
على حسب عاداتها كباقات من الازهار وأكواب من
جوزات الهند الكبار

وقد زلت عنده هذه الاشياء بمنزلة الذخائر المصونة والجواهر
لا تكونه فكان يضعها الصدر ويقلبها وعلى الذهب والفضة

شعر

رأى المجنون في الببغاء كلبا • فذله من الاحسان ذبلا
 فـلاموه عليه وعنفوه • فقال رأيت في حي لي لي
 ثم انه رأى ان كثرة شغفه تعود بالمضرات على الامهات وان لوازم
 العيلة تستدعي كثرة الاشغل وان لا فائدة في الكسل والاهمال
 فخرج مع العبد مرجان لاصلاح البستان قال وكان لا يعرف
 بالعلوم ولا يدرك المنشور ولا المنظوم فقصـدني ان أعلمه
 الكتابة فعلمته وان أفهمه القراءة فأفهمته فعلمها مني
 أحسن منه لقدرته على مراسلة وردجته وتعلم الجغرافية
 ليدري بمحل اقامتها ومرف التاريج ليقف على اخلاق أهل
 بلدتها وقرأ علم الزراعة وأنقسه فصار لا يرى شيأى
 البستان الا أحسنه وكان انسابه ذلك ببركة العشق والطيام
 وسر الوجد والغرام فأصل العلم غوايه وسند الحديث روايه
 ولولا الفقر والافلال لما كانت الحكم ولا الامثال فانها لله مرم
 مسليه وللا نام مواسيه وان الله تعالى بدء بخلق الحب وجعل
 منزله القلب فمكان سببا لارتباط الارواح بالذوات وداعيا
 لاتحاد العقولات والمنقولات ونشر اللذات والقدسية تمت نفسه
 علم الجغرافية لانه رآها غير شافية اذ لا يتكلم فيها على البلاد

بالنسبة لآحوالها الطبيعية بل بالنسبة لقواها السياسية وإنما
اختار كتب السير والحكايات ومطالعة القصص والخرافات
لما رأى أنه يحكى فيها عن أحوال الأمم المارة وما وقع لهم من
الأمور السارة والضرارة فبى منهم من أصيب بمثل مصيبتة
ومن أحب حبيبته كحبيبته وكان لا يجمع إلا الكتاب تلماق لما
فيه من وصف الرستاق وذكر محاسن اللذات الخلوية وعيشة
الرياض المرضية فكما استحسن شيئا من تلك الأمور كان يقرأه
على أمه وهى الست بدور وطالما أخذ الطرب من بعض ما
براه فبهيم ويكى وهوى يقرأه ولما ان اطلع على الكتب الادبية
والنكات الوقية التى هى عبارة عن اخلاق الرعية خاف على
وردجته ان تفسد أخلاقها فتتساه وان تصدق ظواهر ما تراه
فاشتمدت حسراته وتضاعفت زفراته وأنشد شعرا فى هذا
المعنى

لكنها خلة قد سبط من دمه

فجمع وولع واخلاف وتبدل

فلا يفرنك مامنت وما وعدت

ان الامانى والاحلام تضائل

فلا تمسك بالهد الذى زعمت

الا كما يمسك الماء الغرايل

قال واقدمضي لها نحو من سنة ونصف ولم يرد منها حرف ولم
يصل لامها منها ظرف بل بلغها عنها انها وصلت بالسلامه وانه
لم يحصل لها في سفرها أدنى سقامه ثم ورد منها خطاب بخطها
ومعه رباطة من ربطها وكان هذا الخطاب يتضمن شرح حالها
وما هي عليه من البعد عن أهلها ومع شدة احتراسها في التعبير
فقد ظهر منه لامها انها في غايه من التكدير وما هي صورته
بالحرف وصورة عنوان الظرف

ايتها الوالدة العزيزة الخالصة الابريزة قد أرسلت اليك فيما مضى
عدة خطابات ولم ترد لي عنها جوابات فظننت انها أهملت
واليك ما وصلت وأمل ان يصل هذا اليك فيقص قصصى عليك
وان يرد رده الى فينشر طبيب أخبارك على ويهد فطما لما بكيت
على فراقنا وكنت لأبكي الاعلى مصائب غيرنا أما خالك فانها
عند وصولي اليها ودخولي عليها سألتني عما تعلمته وأى
كتاب قرأته وكتبته فقلت لها انى لأدرى وما قرأت وما
كتبت طول عمرى فقالت لى اذا ما ذا تعلمتى من يوم ولدتى
فقلت اها تعلمت ان أخدم العائلة وهما أنا على خدمتك مقبله
فقالت لى انى ولدت مع المساكين وتربيت مع الخدامين وفى
الغد أدخلتنى مدرسة البنات وأحاطتنى بجماعة من المعلمات
فاقرأونى العلوم الاولية كالنحو والحساب والتاريخ

والجفراقية فلم أكتسب منها شيئا لاشتغالى بكم وعدم
التفانى الى غيركم حتى أشيع عني أنى من ذوات العقول
الضعيفة والادمان الضعيفة وخالتى مع ذلك لم تنزل بخبرها
تعمرنى وبالمبوس الطريف فى كل فصل استرنى وقد أرفقتنى
بأمر أنين لخدمنى وغيرت بنسبته اسمى وأنت تعلمين ان
انتمائى لابي أحب شئ على قلبى اذ لا يخفى ما قاله والذى من
لا هو ال وما فعل على زواجك من الافعال وانما حسب الى
هذا الاسم الجديد والعلم الفريد لانه كان اسمك فى الشريعة
ولقبك فى زمر النبوتية ثم نى لما رأيت نفسى فى هذه الحظوة
رحوت حالتك ان لا تعاملك بالقسوة وان ترسل اليك شيئا
للاعانة لئلا تضمرت على الخيامة والاعانة فكان جوابها انك
فقير بكفبك من لعبش ما قبل لانه ان زاد قتل ولم يمكنى
ان أرسلك على يدى أردت مراسلتك على يد غيرى فلم أجد من
يؤتمرنى فى هذا الامر المهم ففعلت بدفع هذا الملم وبذلك غاية
جهدى واعلمت اقراء قلبك بكتابى وحدى ونقد أمانتى الله
عليهما فى أقرب مدة وأقصر عده وكان ارسال كتيبى الاولى
على يد أسوتى فلا شك انهن أعطينتهما الخالى فعمدت الى صاحبة
من ينات الكتاب ورجوته ان ترسل اليك هذا الكتاب
فارسلى على اسمها رد الجواب فان خالتى منعتنى من الخطابات

الخارجية خوفاً على من بعض العواقب الزدية وحذمت عني
ان لا ينظرني في المدرسة غيرها وغـير رجل عجوز من أنصارها
وقالت لي انه يهواني ويميل الى وبتمناني وأقول الحق أني
لم يكن لي أدنى ميل اليه حتى لو سلم على لما رددت عليه وهما أنا
يا أماء في عيش من يرذل في أذيال السعة ولم يجد قلسا معه فانهم
قالوا ان حملي المذراةـم يؤدي الى أمور ذميمة ويؤثر أمره الى
عواقب وخيمة وأما ما على من الملبوس فهو للنساء اللاتي
في خدمتي وربما قلن عليه وهو على جثني فصرت
مع ما أنا عليه من الثروة هنا أفقر مما كنت عليه في بيتنا
لاني لا أجد درهم النفقة ولا شيئاً للصدقة ولما رأيت ان هذه
المعارف الجسيمة والتعليمات العظيمة لا تؤدي الى كسب
القليل ولا تورث ما يروى الغليل عولت على الحياطة التي
اكتسبتها منك ورويت حديثها عنك فهالك جملة من الجورب
من عملي لك ولا أقعوان ومنـدبل لمريم وطربوش لمرجان
ودونك بعض الباب وأبزار من فضلات الفا كهيئة التي تقدم لي
في الافطار وحبوب كنت جمعتها وقت الفسحة من البستان
وبعض من ابزار البنفسج والاقعوان وكم هنا من أزهار أجمل
من أزهارنا لم يكن لها عندهم بها اعتناء فلا شك انك والست
اقعوان من كبس تلك الابزار انـد شرحان وانه يسر كما أكثر من

كبس الدراهم الذي هو سبب الفرقه وأصل لما أتاه من
 الخرقه وما أحسن ما يلقى عن نهر التفاح وانه يشرطه
 على زهر الاقحاح وانه يجمع مع الجوازات الهندية فاذا ذكر لك ما تألفينه
 في البلاد المغريبه هـ هذا وقد أوصيتني ان اشرح لك أحوالي
 وأفصح عن الخبر والشهر مما جرى لي فاما الخبر فلا خير لي مادامت
 عنك بعبدك وأما الشرفا آلى عنه باتباعه يحك المفيدة فانك
 أرسلتني في هذا المحل على ما أراد الله عز وجل شهر
 وأكبر أحراني وجودي بمهشر * اذا ذكر واشياء نحاشوا لك اكرم
 وان قلت شيئا عنكم ينفونني * كلهم يستكفون جواركم
 وحقيقة ان خادماني اذا سمرت معهم وورد شيء من ذكركم
 هاجن بقل لي تذكرى يا ستادك من بنات الانراف فلا
 تذكرى شيئا من كلام الارياف وما علمت انى أنسى نفسي
 ولا أنسى دارهائى وأنسى ومسقط رأسى وأن البلد الذى أنا
 فيها هو الجدير بالنسيان فاني لم أرى انسان ولا من أشركه
 فى أمرى وأحدته عن حبكم الذى لا يفارقنى طول عمرى هـ
 وأسأل المبرة الكثيره بمرجان ومريم كاريباني صغيره وان
 تحسنى منوى الكلب امان فانه ليقينى وانا ضالة فى البستان
 فتعجب قبول غاية العجب من انه لم يذكرا شيئا فى هذا الكتاب
 وقد ذكر الكلب ولم يذكر ان كتب الذماء وان طالبت منها

القافية لم يذكرن أعز ما عندهم الا في الحاشية وحقيقة انها
أوصت له في حاشية الكتاب ببعض حبوب من البنفسج
وبعض من أبرار العوسج وأرشدته على كيفية غرسها وعلى
البقعة التي تصلح لها ثم قالت

شعر

زهر البنفسج كالحب المدنف

تلقاه في أوراقيه بالختني

لكن رواجه الله كيه ان نمت

نمت عليه لكل واش مقتني

ثم أوصته كل الوصية ان يفرسه حول الفسقية وقالت على
العوسج انه قريب الاوصاف أسود الجوف ازرق الاطراف
وأوصته ان يفرسه عند الحجر الذي كانا عليه ليلة السفر وان
يسميه بحجر الوادع وآخر الاجتماع وكان هذا البزري كيس
صغير الحجم سادجى الرسم فتزل عند قبول بمنزلة العقد الفريد
والطابع النضيد سيما وقد رأى عليه نقش حرفين معتقين
وهما مبداء كل من الاسمين وانها نقشتهما بنفسها وطرزتهما
من شعر رأسها فان كنت تدري في التمجيم فهما قاف وجيم
(القاف لقبول والجيم لوردجنه)

قال الناقل فما قرى كتاب تلك العذرى الاوسال دمع العائنين

وجرى فسطرت لها أمها كتابا فيه وذكرت لها ان الجميع
عليها في حيرة ومسحت أجرفه من الدموع وفرط الزفرات
والولوع وقالت

شعر

أقبحي كيف شئت بغير بعد • فاني من غيبابك في شقاء
واني لم أزل مذغبت عني • مقسمة الفؤاد على اللقاء
ثم كتب لها يقول كتابا طويلا رتبة ترتيبا ورتبه ترتيبا
وذكر لها انه مشغول بغرس ما أرسلت وانه سيجعله على حسب
ما فصلت وانه يواف فيه بين نبات أور و با و افر بقيه كما
انها ألقت بين أسميهما بالاحرف التعاليقيه وأرسل لها من
ثم رجوزا الفسقيه مما بلغ الانتهى في النضوجيه وانه لم يرسل
اليها شيئا من أضرار الجزيره لتأخذها على المجئ فيه ثم تضرع
واينهل وسألها المجئ على عمل فقال

شعر

أرجوك ان تعجلي الحضورا •
انتقمي في أهلك الاجورا •
مودى البناء وأرحمى منيما •
لم يرقط به يدك السرورا •
ثم اهتم بعد ذلك غاية الاهتمام وغرس الأضرار على التمام فكان

زهرا البنفسج والبلاب يشبه حالة ورد جنه في الغياب ووجه
 الشبه ان ازهارها كانت تتوارى في الاوراق ولا تكاد تظهر على
 الاطلاق والسبب تلف ازهارها في مدة السفر ولان هوا
 القطر عليها تغير جاء زهرها قليلا ونباتها قليلا

وبعد فالحسد الذي هو نقيض السعادة وأغلب قبائل الجزاير قد
 اعتاده ترتب عليه انتشار أقوال يبسني عليها تعب قبول
 وذلك ان أهل المركب التي ورد فيها خطاب ورد جنه زادوا في
 اللجاج وأشاعوا القول بانها مشرفة على الزواج حتى انهم
 ذكروا اسم بعلمها وقالوا انها من أهلها وأنه من أهلها وقال
 بعض من يأتفك ان هذا الزوج لمن بيت الملك وقال البعض
 انها تزوجت وبالفعل دخلت وانبتوا ذلك دون مين وقالوا
 انهم راوه بالعين فاصدقهم قبول في أول الامر محتجا بان
 مراكب التجار تحمل الكذب كما تحمل التمر لكنه لما سمع
 ذلك من بعض المتردين عليه الذين يرجعون في أغلب أمورهم
 إليه وان غاب به اللون عنه وهم في الواقع يسخرون منه صدق
 مقالهم واستصوب عبارتهم سيما وأنه قرأ في بعض الخرافات
 أو أكثر السير المؤلفات ان كبد النساء لا يخفى وان الرجال
 منهم على شفا وان أول الهوام مزاح وان الفساد يعترى
 الصلاح وان ما يكتب من ذلك في الاوراق ليس الامارة عن

الاخلاق خاف على ورود الجنة وهي وحدها ان تكون قد انقضت
عهدا فانكسف باله وزاد بلباله وتشوق كل التشوق
اليها وتدم كل التدم عليها سيما وقد ورد كثير من السفن من بلدها
ولم يلق فيها كئيبا جاء من عندها

قال وكان هذا المسكين من شدة اضطرابه وفرط عذابه بكثر
التردد على ويأتي في أغلب الاوقات الى ليعلم متى هل صحيح ما
يشاع أم هو من باب الكذب والاختراع وكان منزلي كما ذكرت
على بعد ميلين من هذا المكان على شاطئ غدير من الغدران وهناك
قضيت عمري مشغلا عن الناس بأمرى لا خادم لي ولا عبد ولا
امرأة لي ولا ولد لان الرجل اذا فاته امرأة في الاخلاق حسني
وهذه نادرة من نوادر الدنيا وشكى من الناس ومعاشرتهم وتغرمر
من سوء مجاورتهم وجب عليه ان يسعى في العزلة عنهم وان يجتهد
في الفرار منهم ومن المشاهد ان الذين ساء حالهم امامنا رأيتهم
او من جور حكامهم نفر كثير منهم الى لوحده وبدل بالراحة الشدة
كقدمات المصريين في زمن انحطاطهم وكاليونان في آخر ملكهم
وكالهنود وأهل الصين وكما أخرى الاروام والطايانيين وكاظم
الامم المشرقية وكاهل أوروبا بالجنوبية والعزلة تسوق الرجل
الى السعادة الخالصة وتبعده من الجمعيات المنغصة فاجتماع
العالم لا يخلو عن أمور باردة وأوهام فاسدة فتكون النفس

دائماً في اضطراب من آراء غير سديدة واشتغالات ليست بمفيدة
ولا ينجني مادة الطمع المتسلط على ابن آدم في جمعياته وإن الأخ
يبتل أخاه في حاجاته أما العزلة فليس فيها شيء من تصورات هذا
الطيش التي هي سبب في تكدير العيش بل تشتغل كل نفس
بمناقضها وتتفكر في الطبيعة وصانعها كسبل خرق الأرض وقت
سقوطه وخرب الروض عند هبوطه ثم انحدر في مخيلة منعكفه
فرسب ما فيه من الاتربة المتكدفة ولما خف قوامه وشف قوامه
صفي بعد التكدير وراق بعد التمكير وعكس أشدته على ما حوله
من النبات الأخضر والسماء الأنور وهكذا العزلة تنظم الأرواح
كما تنظم الأشباح ولقد رأينا طول المدة في أعمار أهل الوحدة
وذلك مثبت مشهود عن براهمة الهنود ونهاية الأمر
فهي على مذهبي أصل في السعادة البشرية لأن المرء إذا لم يتخذ
لنفسه شيئاً منها في أموره الداخلية ليكون طارياً عن الآراء
الاجنبية استحال عليه أن يتلذذ بشيء لا يحاله أو يستقيم في
عيشته على أي حاله هذا وليس القصد أن يفرد الرجل بنفسه
وإن به جريفة أبناء جنسه فقد غالت الأمثال وصدق من قال

شعر

● المزم في العزلة لكانه ●

لا بد للناس من الناس ●

وذلك للزوم الضروريات وارتباط الناس ببعضهم في الحاجات
فإن حاجات المرء موجهة للغير كما يحتاج إلى الحب الطير ثم باقي
معيشته على مولاه الذي صورته وأنشأه وقرن بالانصار أعضاءه
في اثنى الرجلين ليمشي بهما وخلق الارض والتراب لهما وقرن
تنفس الرئتين بالهوا وخلق العينين للنور والاضواء وجعل كل
شيء للآخر قرينة مطابقة والغمام واقفا ثم خلق الروح من
امرء قترى المخلوق يردّها اليه بعد انقضاء عمره

فإن ثم التزمت أن أعيش عن الناس بعيدا منفردا وحيدا فإني
كنت خدما متهم في سائر البلدان واتخذت منهم أصحابا في كل
مكان وما تركت قسما من أقسام الارض الا سكنته ولا رجلا
الا اخترته وامنته حتى علمت ان لا أحد منهم يعول عليه
ولا يلتمها في الامور اليه فاخترت هذه الجزيرة لقلة سكانها
واعتماد الهوا في جميع أركانها وابتعدت عن موارد العالم
الا كبر وخروجها من دائرة المحشر وبنيت لي صومعة في الغابة
تحت شجرة مستطابة واقلمت قطعة من الارض وحدي
وبذلت فيها غاية جهدي فكان فيها وفي النهر كفاية لحاجاتي
ونهاية لمتعاتي وضفت على ذلك بعضا من الكتب المهدية
للأخلاق المسلية لهموم الدنيا بالاتفاق

شعر

فصرت بها تستخدم الناس بعدما
 وردت زمانا ما هم ثم عفته
 وما سبب المجران الا لا تني
 اطاعت اصطحباني بالورى وعرفته

وطالما قرأت في تلك الكتب أوصاف أناس دأبهم الشهوات
 والانهمالك في اللذات فاقبس نفسي بهم وامثل عيشي بعيشهم
 فاراني على جرمانى منها أرغدهم عيشا وأقلهم زيفا وطيشا
 فكنت كمن نجى من الفرق في مركب انكسر بعدما انخرق
 والتي به البحر على حفرة عالية فأمن من كل داهية وبقي عليها
 ينظر الى غديره يحتبب البحر وهو على غاية من الخطر ولما
 انقطعت عن الناس وانقط عواعنى وصرت لا أدنو منهم ولا
 يدنون منى أصبحت أرثى لحالمهم وأنشوق لخبالهم فاقابلنى
 مسكين الا كنت فى معونته ولا رأيت جائعا الا قت بمؤنته ولم
 أرفى طربى الا كل مؤذب أوحسن الاخلاق مهذب وكم
 حثرت بكتير ممن أحسنهم الامال الدنيوية وغرتهم الامانى
 الخبالية يجردون من العزلة ما يوافق لذاتهم وبلائهم شهواتهم
 ثم يتهمون أنفسهم بانها اضلعتهم وفي مهاوى الغرور أوقعتهم
 وطالما هم متبتعيب العزلة لآخرين من بعض الفقراء
 والمساكين فلم أرا لامن أحماه هرا طيشه وأصمماه حب عيشه

فكانوا يصغون لما أقول أولاً طامعين أن يحصلوا منه مالا ونبيلا
فأذا رأوا أن سعيي بضد مآولهم ارتدوا على أصولهم ولا موني
على عدم اتباعهم

ولست بنظر إلى جانب الفنى

إذا كانت لعلباء في جانب الفقر

وطالما عتقوني على انفرادى وبرزوا غاية جهدهم في ارتدادى
زعمائى كون معهم أنفع للناس وأقرب للاستئناس

شعر

وما علموا أنى إذا ملت مرة

لهذا وهذا لم أجد صاحبا عندى

ولم أرفى غبرى رجاء ولا وفا

فلقد ردت نفسى ثم عشت بها وحدى

وكنيت وأنا فى هذه الحالة الهنيهة والعيشة المرضية أمثل
لنفسى جميع التقلبات التى مضت والعلاقات التى مرت
وانقضت كتمادخلى عند أهل الثروة والأمره وتعلقى بالذات
والشهره والنشبت بالاراء المخاطبه ونمسكى بالأقوال
المختبطه فأرى مثل كثير من يقتلون عليها ويصغون
بجهدهم اليها كمثل أمواج البحر تراحمت وعات فوق بعضها
وزاكت فإذا أنت لبر لا شت وتصرفت

شعر

فسامت جسمي بأثاره • لنهر اللبالي وتبارره
 فلا بدني صبي في محيط • أحاط الأنام بأنظاره
 وجردت نفسي من فيها • تجرد محقة ركازه
 وقت أشاهد صنع الاله • وأنظر في حكم أقداره
 وغادرت داري في حبان • أرى نعم الله في داره
 قال ولم تكن صومعني في مكان ترى منه عجائب المخلوقات التي
 ترفع قدر التصورات فتتخذ من العالم السفلي وتصل إلى العالم
 العلوي بل لوضاعتها عندي وعلو أفكاري كنت أنظر فيما
 صنع الباري وأجول بفكري في أمور غير ظاهرة فاري من
 مخالتي أشياء باهرة

وأما وصف البقعة التي كانت فيها الصومعة فذلك إن النهر
 كان يسلك أمامي على خط مستقيم في رسم خلسجاء مظلم
 بالشجر الجسيم وكان الأشجار متفاديات في الساق متباينات في
 الأوراق كالشبر والزيتون والبعض والزيتون وغيرها من
 ذوات السوق المرتفعة والعسيبيات المتفرعة كأنها بستان
 من فوق بستان أوريجان غرس فوق رمان وكم من رواج
 أزهار تخرج من تلك الأشجار إن مر بها أحد عاقت بإبائه
 أو خطر ما بها التسميم عطرت ذكي أنفاسه فإذا كان فصل

الريـح رأيت الارض مـروجا ونظرت الى ابيض أزهارها
فـعـينته ثلوجا وان جاء فصل الشتاء أقبلت عليك طيور شـتى
وباهت بريشها وأوراق الشجر وكاد ان لا يحصرها النظر فمن
بـغـالات تشكلم وحمائم تترنم ومنادل تـهـدر وشعار برترس
أما القردة فتناهبك بأسرايها وداعيك الى الفرجة على المابها
فانها تارة تتعلق بالنصون وتعبث كما تعبث المـجنـون وتارة
تتعلق بأذنابها في القروع وتندلى في الهوى بغير وقوع وتقل
صغارها من شجرة الى شجرة بالخمسة والسـمـتـه والعـشـره
في أمن من الصياد وحبائله وبني آدم ورزائله

ولانـمـع هـنـاك غـيـر أصوات الطيور والـحـان البـابل والشـهـرور
أو أصداؤها تـعـكـس عـنـى بـعدى الغـابـات فتعبد أحسن ما يكون
في النغمات أو خير جـدول يـقـع عـلـى الصـخـرات فيـتـكـسـر بـين
بعض الشلالات حتى اذا نزل في الوادى صار كالـرآه وأظهـر في
وـجـهـه وجه من رآه ومن كثرة صفائه ورقه مائه لا يزال
الـنـسيم يـل فيه أذياله ويمر بها على الحرف يقطع أوصاله وينشر
الـخـضـرة في كل محل ولو على رأس الجبل وهناك صخرة قريبة
ومن أصوات المياه بعيدة اذا جلست عليها كشفت لك عن
هـذا المـنـظر الـبـهى فتسمع ما تحب وترى ما تشئ
قال وكذا اذا اشتد الحر ويدس الجو واقفر ذهبنا عند

الصخرة المذكورة وتقدينا هذا كاعلى أحسن صورة
 وكانت ورد جنبه من طيبينها إذا أكلت ثمرة حفظ بذرتها
 وغرسها وقالت ان أصل الانجار ابرار ولا بد ان يأكل من
 هذى طيرا ورجل مار فاتفق لها يوما وهى عندى ان أكلت
 ثمرة من تمر القان الهندى وبعد ان أكلتها غرست كل الابرار
 فنبئت بعد ذلك منها عدة اشجار وكان من جملتهم شجرة من
 ذوات الاتمار ولما سافرت ورد جنبه كان ارتفاع تلك الشجرة
 قدر ذراع فمضى عليها ستمتان الاوصار تباع عشرين قدما
 فى الارتفاع ثم أخرجت ثمرا كثيرا صغيرا منه وكبيرا لم يقبل
 ذات يوم فرأى شجرة منهن كبيرة قد طلعت من بزره صغيرة وهو
 يعلم ان حبيبته هى التى زرعتها يوم أكلت الثمرة وغرست
 بزرها فعزن على انها غابت حتى صارت الابرار اشجارا وخلفت
 الاشجار اثمارا وفى الواقع ان الاشجار التى نراها كل يوم
 لان شجر منها امرعة ما يمر من أعمارنا ولا نعلم ونحن معها كم
 مضى من أيامنا اما التى تغيب عنها ثم ترجع لها بغتة نعلم من
 نموها ما مضى من أيامنا البته وكذلك من غاب عن وطنه فرجع
 فلم يجد أحدا من أنداده بل رأى أولاده أو أولاد أولاده فلم يقدر
 ما مضى من عمره وصار عندها مخبر فى أمره ومن ثم تنبئه بقول
 الطول غيب عرسه من كثرة نموه هذا الشجر بعد غرسه فصار

نارة يمدل الى قاعه لان ورد جنبه غابت من يوم ذرعه ونارة يراه
 أنرا من آثار خيراتها وعلامة ظاهرة على مبراتها فيعن اليها
 وينتطف عليها وينشدها

شعر

- أبارعك الله يا ذى الشجرة
- بالبت منك فى حمانا عشره
- انك عندى أشرف الانار
- وأحسن النبات والاشجار
- فلا لعلك الدهر يوما الا
- حباك أهلا ومكانا سهلا
- ودمت كالحلى على النبات
- فأنت غرس أشرف النبات

قال وكنت بعدها اذا بحثت عن قبول ولم أراه وجدته دون شك
 تحت هذه الشجرة واتفق ان رأيتهم ماقبنا تحتها يوما مما لو
 هم اوضحا فقدت معه محاوره بطول مريحها وياهلوصرحها
 فبرأنى أرجو على كبرنى ان يغفر لى هذا التطويل الذى حصل
 منى فاني كسير الاشواق قريب من الدنيا لا فراق وقد رتب
 تلك المحاوره على السؤال والجواب وجعلتها كبقية هذا الكتاب
 فى سلامة من الذوق وكثرة الاداب

وذلك انه قال لي

اني لاءتجرع مرارة البين فان ورد جنة قد سافرت منذ سنين
وشهرين ولها ثمانية اشهر لم ردها خبره وقت لها على اثر
ولا يخفى انها غيبة وانا قد برفلا شك انها نسيتني من باب التقدير
فها قد عزمتم على السفر الى الجزائر لادخل في خدمة أحد
الأكابر واجتهدتني أغتني منها لاجل ان خالتها تزوجت بها
لاني أكون قد صرت أميرا وما كنت مالا كثيرا
فقلت له

يا أخا العرب ألم تقل لي انك لا حسب لك ولا نسب
فقال لي

نعم لكنني لا أدري ما الحسب وما كيفية النسب اني ما
رأيتني أقل الناس حسبا ولا رأيتهم أكثر مني نسبا
فقلت له

ان لم يكن لك ذلك فلا تصل في الدولة الى خدمة ولا تصير من أهل
الشرف والكلمه

فقال لي

لم تقل لي ان في الجزائر يصل الانسان الى أعلا الدرجات وذكرت
لي كثيرا من حصول الخيرات وظهروا بالنظا هر بعد ان لم يكونوا
شبا واشتهر أمرهم وكانوا قبل ذلك نسبيا منسبا وأرا ان الان

نوجب شكواي واذعف قواي
فقلت له

نعم قلت لك مما سبق في غابر الا زمان . ولقد تغيرت الاحوال
الان فصار كل شيء يباع باثمان واختصت المزايا الجلبية له
ببعض عائلات قلبه . حتى حضروا الخبير بينهم ولم يمتعوا به
غيرهم وصار الملك كالشمس وهم حوله كالسحاب حتى توارت
بالحجاب فن المستعجل ان يحصل لك شعاع من أشعته . أو تلاحظك
عين منابته . واعلم يا ولدي انه مرت أيام أحسن من هذه الايام
كانت بها أشعة الملك تصل الى الرعية على الدوام فتقدمت فيها
المعارف وانتشرت العلوم وانتصف من الظالم للظلم كالأرض
الحبيدة ان أذهبت أجدات وعلى سائر النباتات بعصارتها
جادت . ليكن مثلهؤلاء الملوك الأكابر لا يوجد الا في النادر
وأما العامة منهم فانهم يسلمون الامر لمن حولهم

فقال لي

وما أدراك لي أجد أمير يحماني على كنفه . ويدخلني تحت
كنفه

فقلت له

ان رمت الحماية عند الامرا أو الدخول في كنف الوزراء
فلا بد لك من السعي في مرضاتهم وارزاق ما يشق غايل لذاتهم

وانت لانصالح لذلك أبدا ولا تقدر ان توافق منهم أحدا لانك
رحيم رؤوف كريم النفس عفيف

فقال لي

اني بصديق وأمانتي وحسن سلوكي في ناديتك خدمتي استعقب
ان يتخذني مضافا لخدمتك أو أكون له منادما وهذا
في تأريخ الاقدمين رأيتك وعليك فريته وعذرك رويته
فقال له

اعلم يا ولدي ان اكابر الرومانيين وامراء اليونانيين كانوا يحترمون
افضل وأهمه ويحفظون ذوى المعارف بالجملة فقام في
أيامهم خلف من مشاهير الرجال وجماعة من الابطال ممن
أجادوا الفنون والعلوم وأتقوا المشور والمنظوم ولم أر أحدا
منهم اعتنى بشانه ولا نظر الى علوم كانه فصيح قول القائل

شعر

من كان ذا فاقة مال الزمان به

ولا يبعد الامن حوى مالا

لو كان لا يكلب مال مع نجاسته

للقبوه بـ كلب الدين اجلالا

فقال لي

ان لم أجد أميرا انتهى اليه وأعول في أموري عليه أدعرك في

طائفة من طوائف المستخدمين أو اتعلق ببعض المترمين
واتخدمهم مهمما أستطيع وأحب نفسي الى الجميع
فقلت له

حينئذ تصير كبقية الناس الذين يفرطون في أعمارهم حبا في
الأكياس

فقال لي

كل لا أسلك الا بالصدق ولا أقول الا الحق
فقلت له

ان كان كائنك تصير بغيبض الكل قرين الذل فان الطمع
أعماهم وحب المناصب والرياسة أعماهم يحملون صروف
الهم محبة في الدرهم

فقال لي

ما أسوء احوالي وأكثر أحراني أهكذا كل شيء يأباني وقد
حكم علي ان أقضي هكذا حياتي وان لا تقضي لي بعض حاجاتي
قليل المني والماله مبعدا عن ورجته ثم فطبت وعيس وتأوه
وتنفس وظهرت عليه علامات البأس
فقلت له

توكل على الله في كل حين ولذبحباده الصالحين فان بيوت الحميد
وولاة الاحكام والامامة والملوك والخدام كل له صيب ظاهر

وكبر مدقاهر فان خدمت احدا منهم فلا بد لك من العيوب
وارتكاب الذنوب وامار بك وعياده الجلبلة فانهم لا يطالبون
منك الا الفضيلة

ولاى شئ تزيد الامتياز عن الناس اما فى الكلمة واما فى اللباس
ان هذه لحصلة ذميمة وطريقة غير مستقيمة لانها لو كانت
طبيعية فى سائر الافراد لاصحح كل العالم اضطداد ولاقتل الرجل
مع عرسه فى داره وجار الجاره الى جاره فقم مقامك واسقم
حيث اقامك وان بقى فيك بعض من المروه او شئ من اوصاف
اهل الفتوة فلا تمهل لان تكون من الاكابر فانهم يسلّمون
قيادهم للاصاغر وان الاصاغر تعيش تحت كفهم بالسعى فى غشهم
وتافهم ليجددوا عيشا رغدا ويجمعوا مالا ليدا وبذلك التنى
انت بها وصنعك التنى انقطعت لها فجدد بها الرزق الكفاف
والعيش مع العفاف ولا حاجة لك بالغش والتمليق والذل
والضيق كما هى طبيعة لذوى العقول السخيفة الذين يطالبون
الدنيا على انها جيفة انك مادمت فى حالة لا تخرجك عن الشرف
ولا تقربك من التاف فانك لا تزال من الصالحين ولا تنفك
عن سمن المتقين قايل انك اياك ان تتشبهت بما يشين دينك
ودنياك واحمد الله على السلامه وانك لا تستحق الملامه انك
بين اهلك واحبابك وعشيرتك واصحابك لفى عيش

نحمدك عليه الامرا وتغبطك الملوك والوزرا

فقال لي

نعم لم أحتج الا لورد جنه فان بعدها تاروقر بها جنه وهي
حبي ونسبي وأمي وأبي وحيث ان خالتيها تزيدها زوجا غيري
من أهل الشهر وأصحاب الثروة والمقدرة فهما أنا عزمت على
الانهمالك في المطالعة وادراك ما في الكتب النافعة لانها
لا تقني ولا تنفذ وان اسم صاحبها مخدوم ومن نحلي منها بلباس
فقد استوجب احترام الناس

فقلت له

نعم لكنك لا تكنسب الا بعدد كد وتعب وعطش وسغب وان
الره يكون بها هـدفا للتعذب وعرضة للطرح والحذف ومن
سلط عليه معاصره فقد قل ناصره فان العالم يقتني أثر العالم كما
يسلط الظالم على الظالم لان كلامهم لا يهجه غير عقله
ولا يستحسن قولا غير قوله وأما قولك انك بالكتب تنفع ويعلمو
قدرك وترفع فالزراعة من تلك الكتب أبدى وأقوم طريقا
للمنفعة وأهدى لان من أنبت سميلة فقد أتى بالعجاب وخدم
الناس أكثر ممن أهداهم كتاب

فقال لي

صدقت فان شجرة القشطة التي غرسها وورد جنه كانت منها

لاهل هذه الجزيرة أعظم منه ولا شك انها تبقى على ممر الحقب
وتدفع للناس أكثر من خزانة كتب ثم هي على الشجرة وضعت
لصدره وصار يقابلها وهو متعبر في أمره
فقلت له

واعلم ان الكتب التي تأمر الناس بالاستواء في المحبة وعدم
تجاوز الفضيلة مثقال حبه كالأحاديث النبوية والكتب
السموية فطالما اتخذها الملوك وسيلة لنفاذ مقاصدهم
وجعلوها سلما لكابدهم وكم ظلم الناس بعضهم احتجاجا بها
واستنادا في الأسباب عما يقمن بأمن بعد ذلك ان يتقرب للناس
بكتاب ويكون في فعله قد أصاب أما كفى ما جرى لأغلب الأدبا
وأكثر الخطباء فام وميروس على جودة شعره كان يسأل
طول عمره وسفراط الذي وعظ اليونان بعلمه وعمله سم وأحرم
من أجله وأخذ أذلاطون تلميذه أسيرا وما أمر بأمره الملك
كان يحبه كثيرا ولا نفس فيثاغورس الذي نشر الفضل بين
الناس والحيوان فإنه آل أمره الى ان احرق بالنيران وهكذا
اغلب مشاهير الرجال رأ أكثر الفعول والابطال قد بلغنا عنهم
ما تجرعوا وان الناس على سوء معاملتهم أجمعوا وذلك
لنظايرهم لديهم وكثرة التردد عليهم فان قيل عن أحد منهم
سعد جده وارتفع شأنه ومجده فلانه كان عن الناس مبعدا

ومن معاصريه منفردا ومثله كمثل التماثيل التي توجد في
 خرافات اليونان والاثار المدفونة من قديم الزمان ما وقاهما من
 لكسر الاموار انهما في التراب واحتمل بهما من الناس بحجاب
 فهما قد علمت انك اذا اردت الشهرة بالادب لتستغنى عن
 ذشب والنسب فالترحم العفة والشرف على انك تكون بهما
 معرضا للتلذذ وحاشاك ان تستميل الاغنياء بمعلومك فانهم
 لا يعبئون بك ولا بمعلوماتك لانهم لا يلتفتون الا لما يكسب
 الشهرة والمظاهر والتقرب من الملوك والاكابر واعلم اننا في
 زمن لا يعنى فيه الا بالاذات وتحصيل الاموال وان المعارف
 والفضائل لا تزيدها في كل حال ولقد كان للمعارف شأن
 في المحافل والمجالس وقد رعت في جميع المدارس والان
 لا وجود لها الا في الدفاتر ولا ذكر لها الا في المساكير وهذه
 الكتب وان سكنت عند الناس لا قيمة لها فلم تزل حافظة
 مقدارها لان فيها اشبهما بالفضل الذي هجروا تسليمة لكل
 فان وضجر وارشاد الامة وتنويرا وتفكير للملوك بالحق
 وتذكيرا وان درجة التأليف اعلى الدرجات وأرقاها
 وأحسن ما من اقبله على عباده الذين اصطفوا فان من ألف
 كتابا قد سلاه وشرح صدره وهناه سيما اذا علم انه يبتقى
 للذرائر المقبلة وانه ينقل من عائلته الى عائلته فيكون مرشدا

للضالين وواعظ اللظامين وانه بهد طول هجرانه وكثرة
 زكاه ونسبانه يشتهر أمره ويعلو شأنه وقدره وبجلاله
 خلوداته فني جنبه الملوك وأثارهم وتحرس عنه متملقوهم
 وشعارهم

فقال لي

اني لا أطعم في هذا الفخر الا لانشره على ورد جنه وأجعل ذكراها
 به يرنا عظم ربه حتى تسير بذكراها الركب ان وتصير به سيدة
 السمات والذوان وأنت يا أبنى بالله عليك وحق خضوعي
 بين يديك ان كنت تعلم طرفا من الغيوب وانه سيجمع
 المحب بالمحبوب فعدتني بالخبر الصحيح وادخل على التفرج
 فاني لا أريد ان أطاع على الغيب الا لعرف حظي معها بلاربيب
 فقلت له

ان كان الانسان يعلم بما كتب عليه وأطلع في الغيب على ما
 يؤل أمره اليه ورأى المصيبة عليه قابله والبلية فوقه نازله
 زاد طيشه وتنقص عيشه فلا يجوز التجرف في الاشياء التي نراها
 فانما علمها عند من براها وان الله تعالى كما وهبنا العقل نتدارك
 به الاحتياج فقد خسرنا بالجزو الضعف من عالمنا من اللجاج
 فقال لي

حيث انك ذكرت لي ان الانسان بالثروة يكسب الشرف فيها

بوردة و لو في الحلم أما ان كان لابد من الفراق ولا سبيل الى
التلاق فقل لي هل هي على هدى حافظه لقد سيمودي وهل
لا تزال تحبني وهي بين فرقة من ندماء السلطان وهل تعود الى
وهم يتزاحرون عليها في كل آن

فقلت له

يا ربي انها لا شك تحبك وغاية مناهها قربك والداييل على
ذلك انها من أعقل البنات وأجل النساء المخدرات فاما مع
ذلك أفيل على وقبلتي بين عيني

ثم قال لي

لكني قرأت في السير ووقفت على الاثر فرأيت ان النساء
خائنات أصحح ذلك أم يعدن الخرافات
فقلت له

اعلم انه في كل حله وكل شعبة وماله منى ظلمت النساء الرجال
جبرت النساء على الاحتيال

فقال لي

ابن لي ذلك فاني ما فهمته وما حققته وما علمته
فقلت له

نعم ان الظلم من عدم الخيار وقلة الاختيار فانهم يزوجون
البنت قبل ان تستشار ويعطون الشابة للرجل الممنون

ولزكية العرف للمنتن

فقال

ولاى شئ لا يزوجهن بما يناسب فبطون الشابة الشاب
والطبية للطيب

فقلت له

لان اغلب الاشياء ان لا تملك اولا ان تكفى لزواجهم وانهم لا
يجهلون بها الا في ايام كبرهم وامر جاجهم فاذا كانوا صغارا سموا
في اطلاق جاراتهم واذا شاخوا فلا يقدر ان يلازم نسايتهم
فكم يخونون وهم صغار فمكذلك يخانون وهم كبار وهكذا
من خان بخان وكذبى الفتى يدان وقد قضى الله في جميع البلاد
التي لا يقيم فيها الخير بالفساوى على الامداد ان تكون هذه
مناقبهم وان تؤل الى مثل ذلك عواقبهم كالروض لا يعيش
فيه النبات الصغير تحت ظل الشجر الكبير ونما ارى الامر
فان البلد لا تخلوا اهلها من الفساوى حتى يقسم الرزق عليهم
بالفساوى

فقال

وما اخرج المرء اكثر الزواج لبشاهل الى الزواج

فقلت له

لبعيش غنبا عن العمل مستغرفانى بحار الكسل

فقال لي

بشئت هذه طبيعته فانها والله شنيعة أما أنا فمندی الشغل
أحسن لان فيه صحة العقل والجسد
فقلت له

ان أهل المدن من يشتغل منهم بالحرف فقد أضرهم بالذوق
والشرف حتى انهم عابوا الاشتغال بالملاحة وفضلوا عليها
الملاحة وعندهم كل خادم ولو ملاح أحسن من رجل
فلاح

فقال لي

وهل الصنعة التي بقات منها الآن ان تكون مختفرة في البلدان
فقلت له

انه يصحبل على من شب في الخلوات على سمن الطبيعة ان يقف
على عيوب أهل المدن الوسيعة فان الطبقات قد نسقت على
وأما السبيات فانها لا تزد ولا تنقص وكل من الجمال
والفضيلة والسعادة فانية ونسبه وليس للقبج والذيلة
والشقاء مد ولا حسيبه

فقال لي

ان الاعتياد على ما تقول بعد الاذلا بمنهم شيء مما يريدونه وانهم
يتأذون كثيرا مما يحبونه

نقلت له

ان أغلبهم لكثرة انهما كه في اللذات وتغلبه في الشهوات
 قد صار لا يشتهق اليها لكثرة ادمانه عليها فان الراحة لا تات
 الا بعد التعب والا كل لا يطيّب الا عند التعب والشرب
 لا يجلو الا مع الظما والنور لا يشتهق اليه الا ذو العمى وان
 لذة الوصول لا تكون الا بعد المجران وحسن التمتع لا يأتي
 الا بعد الحرمان ولما كان الفى دافعا لجميع الاحتياجات
 البشرية صارت الاغنياء لا تلتزم شي بالكفاية اتسام
 نفوسهم من الاشياء الوافرة ومن الكبر المتولد من المقدره
 فان حصل لهم ادنى حرمان أو بقى نقص نقصان أبى كبرهم الا
 ان بغض ونكد رعبشهم من النقص ولا يملكون انزاله عن
 الضرر عنهم لانه في الاصل ناشئ منهم فتألم كالورد وشوكة
 فان الوردية لذبة زمانا سيرا واداشت شوكة يتألم منها كثيرا
 فكانت نسبة المضره التي تحصل لهم في أثناء اللذات كنسبة شحم
 الورد وما يحصل منه من الشكات وأما الفقراء فبخلاف ذلك وفي
 بعد ما هنالك انما لهم سرور وسط شرور كان كالورد بين الشوك
 الكثير فهم منه يتأذون أكثر مما هم منه يتأدون لان
 الطيب يملو عند وجود ضده كما ان حرارة اليوم تؤلف عند برده
 ذلك حكمة الحكيم وتقدير العزيز العليم ففي أى الحالين فرغ

وهي أي جنب زيدان تنقلب فالأولى حالة الأسرا والآخرى حالة
الفقرا وهاتان الحالتان لا يرضاهما قط من ماله بالطبع إلى
المروءة والمبش الوسط

نقال إلى

أقدني بلفظ أنا ما معنى المروءة هنا

فقلت له

المروءة هي أن يكدم المرء نفسه لفعل الخير وأن يقصد بذلك وجه
الله لا غير وأنت كاد لنفسك في يومك وأمرتك وبأذل غاية
جهلك في الطعام أهلك من كدك فليست تحتاج لعرفه المروء
لأنك معدن الكرم والفتوة

نقال إلى

ما أكثر مصروءة وردد جنه فانه انت طالب الفنى جبانى فعل الخيرات
وشوقا بئذ المبرات فستعود لما ان شاء الله سالا ورجع
بمروءة اخائمه

ثم ما زالت فكرته تهتف بهودتها واعينه تنراى على رؤيتها
حتى زال عنه ما به من الخير وتفتت عنه سمات الغيرة
وكانت وردد جنه لم تكذب له كتابا ولم يزد له جوابا لانها كانت
مشرقة على القدر مستبشرة بان الفراق لا يدوم وكان لا يلزم
طوبى لمن لوصواها اذا ساء لها الهوا وجاء على وفق ماتموى

فكان قبول بحسب سير السفين ويقول ان سفن التجارة
الصغيرة اذا شرعت في المسير تقطع اربعة آلاف فرسخ في اقل
من سنة شهرين واما سفنهم فانقطعت هافش هرين ارفش هير
واسبومين لانها في غاية الخفة والصلاية وملاحبها في اعداء
درجة من النجاسة ثم اخذ فحدث فيه ايلزم لملاقته ما يلزم
ان يبنى من البيوت اها وصار يسلي نفسه بوصولها وبنالذ
مقدم ما يجاسيراه منه ذواجه بها وكما خطر بباله انها تصير
امر انه ارثمت فرائسه راظطربت وذنبت ساعته راقربت
وقال لي يا ابني لا بد ان تصنع معك ما انت اهل له من الاحسان
فار ورجنيه قد صارت من اقباء هذا الزمان فلا بد ان
تشتري لك كثيرا من العبيد فاحوز لك ارض هذه البريد وتغني
العيش مضافا الى شراح ولا تفكر الا في تجديد الافراح ثم ياخذ
الطرب من ذلك فيذهب الى المستبدور ويخبرها بما قام به من
السرور وما مضى الا من يسير حتى تغير حاله وانقلب افكاره
واماله وذلك لان تراكم الافراح يثقل الحزن والمر لا زال
ينقلب بتقلب الزمن ولقد سمعته يقول ان ورد الجنة قطعت كتبها
عني وعزمت على عدم القرب مني لانها لو كانت سافرت من
الجزائر لكانت ارسالت لنا البشائر ان الذي قبل عنها لا بد
قد جرى وان خالته قد زوجتها بأحد الاسرا ولا شك ان حب

الغنى أصداقاً ومعنى أعماماً وما الكتب التي تمدح
الذات الآمن ببعض الحرافات لأنها لو كان هذا أثر المرأة
لما تركتني وتركك أمها أما علمت أنني أسف ما بها مشغول بها
حتى تشغل عني بالذات وتاهوا بتبع المسرات لقد سئمت
والله نفسي الانفعال وكهت النساء والرجال اللهم أتراراً لحرب
في الهند فادع إليه والتي بنفسى ما به لاقع بينهم جريحاً أو
أموت فاستريحاً ففأت له أن الشجاعة المؤدية للموت هذه همة
وقته حركها فبنا فقرأ الرجال الرديه على أن فينا شجاعة أعظم
من تلك وأحرم وبها تعمل من هذه المبتدأ ما هو أهم وهي
الصبر مفتاح الفرج دكي العرف والارج لا يتوقف على نصيحة
ناصح ولا يؤخذ من قول مائن أو شارح

شعر

• الصبر مثل اسمه مر مذاقته •

• لكن موافقه أحلى من العمل •

ومن لم يصبر على المصيبة ويجلد على فراق حبيب أو حبيبته
فذلك فاقد للاخوه وعادم الانسانية والمروءة

فصاح منهاؤها وأشار منهاؤها

صديق فاني لامرؤة مندى ولو بذلت في تحصيلها جهدي فاني
عدمت الصبر بين الناس وأوقعت نفسي في حالة البأس

فقاتله

اعلم يا ولدي ان الصبر اسم انتشر لا وجود له في البشر ولا يطيقه
 الا الانبياء والاولياء واما اذا دهمتنا المصائب وكثرت علينا الموانع
 وذهل العقل منا وولت افضل المآثر منا لانزى غير الاداب
 والحكم تزيل بها الهمة والغم وهي منه من الله بهاء على العباد
 ونشره في كل واد فهو كالشمس تضيئ وتدفئ وتزيل الغم وتنقي
 وبها تقرب لنا الاشياء وتنظم احوال الدنيا تستعين بها
 النفوس على الحسنات وتهزم جيوش السيئات وتعرض على
 اتباع الفضيلة وتضرب الامثال لاجتناب الرذيلة ولقد
 كانت تلك الاداب والحكم من السماء في اعلى الآفاق فاراد الله
 نزولها على الارض لتهذيب الاخلاق فتزلت وصارت تسليمة في
 الخطوب وتفرج بالاكروب وان مشاهير الرجال الادبا واهل
 هذا الفضل النجباء كان ظهورهم في اعصار مكربه واخلاق غير
 مؤدبه فابدهم في التشور والمنظوم وفرجوا هم كل مهموم
 وكم اكرمك مما سلوه واعظم كرميا فرجوا عنه وهنوه
 فافرا يا ولدي هذه الكتب الطيبة فان الحكماء الذين افقرها كانوا
 اهل تجربته سبقونا في طريق الدوائ ومذوا ايديهم
 بالكتب البناء ونحن في اعراض المصائب فبأقوالهم تنصلي
 وبفضائلهم تنجلي

شعر

ومن لم يجد في الناس خلاصا واقفا •

يبدله في أيامه بكتاب •

فقال قبول أو أهوان ورد جنة متى لما كنت بقارى كأنهم لم تكن
 تقرأ لو كانت يجوارى فانها حين كانت تنظرالى وتتردد بمحبته
 على كانت من الحال على أن أغتم أو أنفص من شئ أو أهتم
 فقلت له ان حب المرأة للرجل - هادة أبدية وعيشة راضية
 مرغوبة فان اهما مدام حبة لطيفة وموانسة لطيفة تزيل ما
 بالرجل من الحزن وتبينه على صروف الزمن وكان وجهها
 مغطا طيس الانس ونفحة من نفحات القدس نورث الرجل
 سرورا وتزيل عنه وساوسه ورا فابشر يا ولدى بقدم ورد جنة
 من قريب ولا بد لك فيها نصيب وانها ستوردك الف غنم
 بالفه رشدها منعمه وستحب منك على اهل الان في ابستان
 وماتيك على ما تراه فيه من النقصان لانها على طول قربتها
 وتضررها من مذاب خالتها وبهدها عنك وعن أمها
 لا يزال حب البستان نصيب عينها

قال فحدث في قبول تصور رجوع ورد جنة فازداد قوة وفطنة
 ورجع الى عمله في الفلاحة والبس البستان ثوب ملاحه وصار
 مخترع فيه من فنونه وبنطومه بقوة عشقه وشجرته

فلما كانت صبيحة الرابع والعشرين من شهر تشرين رأى
قبول برفاء على حصن المدينة وكان هذا دليلا على قدوم سفينه
فضى الى المدينة ليفف على الاثر ويسأل هل ورد من ورد جنة
كتاب أو خبر وانتظر رجوع رئيس اليمان بالاقاده لانه
كان قد خرج للسفينة على حسب العاده ولما ان رجع الى حاكم
الملا ودخل عليه دنا منه ووقف بين يديه وأخبره بان هذه
المركب تسمى بالغراب قد أقبلت من الجزائر مع كثير من الركاب
وحمولتها سبع مائة طفولا لانه تحت رياسة القبودان شعاعه
وانها بعيدة عن الارض بقدر أربعة فراسخ في العرض وانها
لا تدخل الميناء الا في الغد بعد الزوال اذا كان الهواء في غاية
الاعتدال ومع ذلك فلم يكن الهواء مساعدا ولا الجو طيبا
أيضا ثم أعطاه ما ورد من الاوراق برمتها فكان فيهم خطاب
لست بدور من ابتها فاخذت فقه قبول لوقته وطاربه الى بيته
ولما نظر أهله ينتظرونه على هذه الدواع رفع الخطاب في الهواء
كالشرع وأشار به الى البعد وهو مبكم لا يقدر من فرجه ان
يتمكلم

قال فحضرت الجيران عند الست بدور ليسعوا هذا المسطور
فكان فيه ان خالتيها جرعتهما أنواع العذاب ونقصت عليهما
الطعام والشراب وأرادت ان تزوجها بالرغم عنها وأحرمتهما

من أرثها وتبرأت منها وأرسلتها في فصل الشتاء لاهلها
وما سألت جماعة ان يحصل من البحر لها وانها كلما طابت
منها شيئا لامها عبت رادعت انها أدلت ونهرتها وسبها
والى الجنون نسبها

ثم ختمت وردجنة كتابها بذكر ما قاسته من الشوق ومآلها
وانها حضرت لبداها ومسقط رأسها وهى على ظهر البحر
رهينة تنظر على البعد الى المدينة ولولا ان قبودان المركب
منعهما من التزول حين جاء رئيس الالبمان على صندله محمول
لكان زلت فيه لقبول واسكنه احتج لها بأن البحر كان عاليا
وان موجه كان متواليا

قال فتمت قراءة هذا الخطاب حتى ابتسم كل من سمع وطاب
وهللاوا وصفقوا ومن رؤية وردجنة أشفقوا وانفقوا في الغد
على مقادلتها وهنوا أنفسهم بسلامتها فقالت الست بدور
لقبول أخبر جارتا بقدم وردجنة هنا فاوقد مرجان شعله
من الخشب وأتى هو وقبول عدى وهما فى غاية من الطرب
وكان ذلك بعد العشاء بساعة وقد هجعت الجماعة وكنت
طفيت فندبلى وعصبت رأسى بمنديل وتبشت للثوم شاكر
الله على سلامتى فى هذا اليوم وما أشعر الا ونور ظهر من بعض
طيقان المنزل ثم سمعت صوت قبول وهو مقبل ولما نادانى

فأتى إليه وأبست ثيابه وخرجت عليه فماتتني وهو في غابة
الفرح وصدره قد انشرح وقال لي قم بنا فان ورد جنة جاءت
هنا وانها اذا ساعدتها الرياح دخلت مركبها الميناء على الصباح
فقصدنا الميناء من طريق الغابة ونحن في غابة القوة والصلابة
وبينما نحن في سيرنا واذا برجل يمشي من خلفنا فوقفنا له حتى
دنا فسالناه عن حقيقة أمره ولاي شيء يسرع في سيره فقال
وهو في غابة الخير انه من عبيد هذه الجزيرة وانه جاء بخبر
الحاكم بمركب أنت تحت جزيرة العنبر تضرب المدافع طلبا
للاغاثة على خطر البحر فانه كبر عليها وأتعبها ويخشى منه ان
يركها ثم استمر العبد في طريقه وهو من شدة سيره يكاد ان
يشرق بريقه

فقلت حينئذ لقبول سر بيا الارض الذهب فان السير بالليل
يستعجب وهي كائنة جهة الشمال وليس بيننا وبينها الا بعض
أميال فسرنا وكانت ليلة شديدة الحر وكان في الجو ثلاث
هالات حول القمر وكان السحاب كثيفا والبرق عنيفا
ظلمات بعضها فوق بعض منتشرة حول الجزيرة بالطول
والعرض ثم تخيلنا صوت الرعد وحققنا انها أصوات مدافع
من بعد قد خاتى الرعب من صوت المدافع وانشعر جسد
من نازلة ليس لها من دون الله دافع وثبتت عندي انها علامة

الفرق وان المركب معرضة للغرق ثم سكنت صوت المدافع
وانقطع فكان سكونها أشد خوفاً وقرع
وتقدمنا في السير ولم ينطق أحد من أصحابنا
عن الخوف الذي كنتم به فلما وصلنا نصف الليل الى ساحل
أرض الذهب رأينا البحر هناك قد اضطرب وتدحرجت
أمواجه على العفريات وقد ذفت بزبدتها من جميع الجهات
واكثره لعمان نفسه فورها وما كان يتطاول من نورها رأينا
فلا بك الصيادين على البرحس وبيده منها المعدولة ومنها
المقلوبة ورأينا على البعد من مدخل الغابة شعلة من النيران
حولها كثير من السكان فجلسنا هناك للاستراحة الى ان
ينشر ليل صباحه ويبدى الديك صباحه وبينما نحن قاعدون
ولم نكلام من حضر سامعون واذا برجل منهم يقول وهو ينظر
لي وبقول انه رأى بعد الظهر مركبا على بعد عشرة أميال
من الشجر حمانها قوة التيار الى الجزيرة وما أخفاها عن أعينهم
الانطامة الليل الغريزة والله سمعها بعد الغروب بساعتين
أضرب مدفعين بعد مدفعين فـ علم انها تطالب المعونة وتريد
المساعدة الا ان البحر كان هائجا فأمر ~~كن~~ ان يرسلوا
لأحاثها حواجيا وترأى لهم انهم لسرحها أوقدوا ورفعوا أعلام
الاستغاثة وشيدوا وانهار بماد خات بين البر وبين جزيرة

العنبر فلما بان هذه الجزيرة تأوى اليها السفن المستجيرة وانه
 ان صبح ذلك فهدى في كرب عظيم وخطب جسيم وقال رجل آخر
 انه كثير ما مر في الخلق حج الكائن بين جزيرة العنبر والساحل
 وانه جس ماء فوجده للاستقبال قابل وان المركب فيه تكون
 في أمن أمنين وحصن حصين وانه لو ملك على مركب ذهبا
 لا من عليه في هذا المكان ونام رقابه في غابة الاطمئنان
 فقال ثالث انه يستحيل دخول المركب في هذه الجزيرة فان
 ماءها لا يقبل الا السفن الصغيرة وذكر انه راها خارجا عن جزيرة
 العنبر بحيث لو نسفم الهواء لا يمكنها ان تخرج في البحر لتأتى الى
 البر ثم اضطربت به ذلك أقوالهم وكثر قبيلهم وقالهم كما هي
 عادة العامة في كل أمه وكما أنا وقبل سامعين وبقينا
 معهم حتى نظرننا النهار بالعين انما الشدة العتمة والضباب
 وكثرة ظلمة السحاب كان لا يمكن ان نرى على البحر شيئا أبدا أو ننظر
 على البعد أحدا غير شيء على البعد ظهر قبل عنه انه جزيرة العنبر
 وان بينها وبين البر ربع فرسخ بالاكثرا واشدة انطباق البحر
 في هذا النهار وما عتراه من الامتكار كان لا يرى الارض
 لا البحار وادخض قات الحرائر الكبار مما يتشقق عليها
 السحاب ويحيط بها كثيف الضباب فلما كانت الساعة
 الواحدة من النهار سمعنا دواقي الاشعة

أصوات طرنيتات العسكرية مع فريق من رجال الجهادية قد
أتوا مع الخاكم حاملين أسلحتهم أخذين أمتعتهم فأمر أن
يضر بوابنا دقهم دفعة واحدة ولما ضربوها رأوا نارا في البحر
موقدة وخرجت بعددها ضربات مدافع متعددة فعلمنا أن
المركب بالقرب منا فسير بعيدة عنا ثم نظرنا من خلال
الضباب مركبا يرفعه البحر إلى السحاب ولقربها سمعنا
الملاحين مهللين وبذكرا لله مكبرين باسطين اليه أكف
الطاب متوسلين اليه بسيد العجم والعرب أن يزيل عنهم
الكرب ويبعد عنهم الموت الذي اقترب ولما رأى من في
المركب أنه يمكنه التخلص منهم من المضائق صاروا يضربون
المدافع في كل ثلاث دقائق فبادر الخاكم بإتقاد نيران مشرقه
على جهات متفرقة ليقوى الركب ويشجعهم وفي حصول
النجاة بطمأنينهم ثم طلب من الأهالي أخشابا وما كولا وأحبالا
وبراميا فلا فلوها من بعضهم لما وأعطوه منها شيئا جريا
فأمرهم أن يرموها في البحر على عجل فألقوها وهم في غاية الوحل
ومند ذلك أقبل على الخاكم رجل من خيبر بالعواصف متقن
وقال له أنا لم نزل نسمع في الليل دويافى الغابات ونحري كفى ورق
الشجر على عدد لاوقات ودام ذلك إلى الصباح مع عدم وجود
الرياح وان الطيور المائية قد هربت إلى البر وهذا دليل على

الاهول الا كبر وعلامة على قدوم عاصفه ليس لها من دون
الله كاشفه فقال الحاكيم يا اولادى ها نحن قد استحضرنالها
وهاى السفينة تنظر نزولها وحقيقة كان فى الجؤ ما يدل على
ذلك لان وسط السحاب كان اسود حالك وكانت اطرافه
متلوثة بلون الخناس وأفواهه تكاد تنفجر من شدة لاحتها
وكان كثير من الطير يفر الى البر لياوى من الخطر الى معا كف
الشجر

وما كانت الساعة الثانية من النهار سمعنا من جهة البحر صيحة
عظيمة وفعقة جسيمة كأنما انفج فى الصور أو ترعزت
المجال والصحور فصاحت الناس قائلة ها هى العاصفة مقبلة
ثم هبت الزعازع ففرقت ما كان فى الجؤ من الضباب وظهرت
السفينة ومن عاها من الركاب كانوا أنزلوا شراعاتها وربوا لنسائها
وربطوها من الامام بأربعة زناجير وعمنة كبيرة من جهة الفجر
وكانت راسية بين جزيرة العبر وبين رباط الرسبف المحيط
بالبر ونفذت من محل لم تسبقها اليه فبينه فبقيت فيه أسيرة
رهينة نالقي الموج بصدرها فبرقهها حتى تظهر أخشاب قعرها
وتغمس مؤخرها فى الماء حتى يغرب عن النظر ولم يبق له أثر
وطل الریح والبحر يخفضانها ويرفعانها وعلى البر وطحير
يدفعانها وهى لا تستطيع الى البحر رجوعا ولا الى البر

طولها لانه كان بينهما وبينهما وعميقه مفصولة عن
 بعضها بأشعاب دقيقة وكانت تأتي الموجهة من البحر تخور في
 سورها وتقم البر بنشرها فتعلوا أكثر من خمسين قدما على الأرض
 وتغمر الرسي في طولها والمرض وإذا رجعت تكشف الأرض
 كشفا وتنصف البحار دفعا وهي تفور وتثور وتعلو على
 الخيامان والدفور حتى أن الخاليج الذي بين هذه الجزيرة وجزيرة
 الغنر صارت بحيرة عظيمة من ليج البحر ثم يملؤ زبداء على البحار
 فيبلغ ارتفاعه أكثر من ستمائة أمتار وكانت الرياح تختطف
 منها ما يمكن أن يختطفه وتقطف من الزبد ما يروج اقنطافه
 وتشره أكثر من نصف ميل على البر فكان يظن أنها تلوج
 خارجة من البحر وكان يظهر من علامة الجحش أن العاصفة
 تمكث زمنا طويلا لأنها كانت تزداد قلبا لقلب لا حتى كاد
 البحر أن يختلط بالسماه وان يغمر الأرض كلها بالماء وكانت
 الرياح تختطف بعض السحاب في الحال ويبقى البعض ثابتا
 كالجمال وما زالت السماء في حجاب والأرض والبحر في غاية
 الانقلاب

أما السماء فبنية من شدة ما فاسته من الويل مدة النهار ومدة
 الليل تقطعت زناجيرها ولم تزل من بحرها وقامت حراسها
 ولم تجد من يواسيها فقد فت بها الأمواج على الشعب فتكسرت

وضعت عليها الناس ونحمرت فهم يقول يرمى نفسه في البحر
فأمكنه من ذراعه وصممت على امتناعه وقلت له يا ولدي
اياك اباك ان تلقى بنفسك الى الهلاك فقال بلى ولكن لانجها
أو أموت حيا فيها ولما رأينا طائر وذهل والفرول في البحر
تأهل ربطناه بجبل طويل وامسكنا طرفه على بعد ميل
فأقبل على السفينة بجواره يوم تارة ويمشي تارة وكان يمكنه
ان يقربها وان يتسلق عليها ويركبها لان البحر عند نزوله كان
يتركها واقفة على الارض الناشئة فيمكن للرجل ان يمشي
حولها على أقدامه وان يتمكن من صراجه لكن عند هودة
الامواج وتعالىها كالابراج كانت تصدم مقدم السفينة
تترفعه الى القربى ثم ترمى بقبول رمية عنيفة فينبهر معها
كالجيفة وبأني والدم يسيل من يديه ورجليه وتظهر علامة
الموت عليه فيصير حني يقيق انفسه ويتمكن من نفسه
ويرجع ثانيا من سوء محنته الى خلاص أخيه لكن السفينة من
شدة ضرب البحر فيها قتمها وعلى الاجار طرحها فيش من
فيها من البصريه والقوابا أنفسهم في البحر صوبه وركب البعض
على الصواري واستعان البعض بالالواح والمداري وهموا
من الهلاك هاربين والى الهجاة طالبين ثم رأينا بعد ذلك
شيئا تشبه له الجلود يذوب منه الجحرا الجامود وذلك ان

ظهرت في مؤخر السفينة بذت ملبعة الثياب فتبته الشباب
 مائة يديها القبول وهو يسـ هي في نجاتها وكانت هي وردجنة
 بذاتها وكانت عرفت معها المجري وهو الهايجري فلما
 رأيت تلك البنت اللطيفة وهي معرضة للاخطار الخفيفة
 ما تشاء لها رعبا وازددنا بأسا وكربا وأما هي فلم يضرها قزع
 وما اظهرت من هذا الخطب جزع بل صارت تشبه لنا بالوداع
 الذي ليس بعده اجتماع وهي مع ذلك مطمئنة ضاحكة
 مستبشرة بالجنة ثم ظهرت على ظهر السفينة رجل عربان ودنا
 من وردجنة وهو حيرار وجثا على ركبتيه أمامها وزجاها
 وهو راكع قد دامها وأراد ان يقرع ما عليها من اللباس
 لينتجها من الفرق والباس فدفعته عنها مع الائفه وصرفت
 وجهها عنه بغاية العفة فصاحت عليه الناس من كل مكان
 أن نجها نجها يا انسان وأقبل في الحال على المركب جبل من الماء
 مرتفع برأسه الى عنان السماء فلما نظره البعري مزيدا ونظر
 جداره أسودا فرها ربا والى النجاة طالبا وبقيت وردجنة
 وحدها المسكينة وتطرت فرق السفينة واستعدت للقاء
 ربها وهي واضعة يدها على قلبها كأنها ملك خرج من
 الماء وأراد ان يمد الى السماء

فهر

• فيا لك يوما كثيرا الخطوب •

• قطيع الشروق شبيع الغروب •

• ويا لك ياد هر فينا مني •

• نراك من البقي يوما تتوب •

قال فلم يبق تلك الموجه السفينة اثرا ولم تترك لورد جنه خيرا بل طغماؤها على البرزاقها وطرده كل من كان هناك واقفا ولقد نجا البحرى الذى كان بقرب ورد جنه وقاز من الله بهذه المنه ثم ربه دخوجه ساجدا ورفع يديه من شهيدا وقال يا رب الارباب وباعته في الرقاب لا احمى ثناء عليك بما تحبتي واعقت روحى وأحييتى وكنت أرجع حياة هذه الشابة على حياتى وأورد نجاتها ولو بوقانى

وأما أنا و مرجان فاشتغلنا في اخراج قبول اذ فرغ من ورد جنه للامول وكان الاشتغال بامرء ازم لانه كان أشرف على الدم وسال الدم من فيه ومن أذنيه حتى ان الجاهل كم أعطاه الطبيب وأوصاه عليه وشرفناه مد ظلتنا به في كل الجاهة عن حشنة البنات فوجدنا الریح حادت من مهبها فجعلنا ان لانه ثربها وان نحرمت جنتها من المدفن ولا يورى في القبر واليكفن وفادرناهذا المكان أسفين على تلك الصبيبة أكثر من أسفنا على من هلك في هذه البلية حتى لقد كدنا سخط على

القدر كما يحصل ذلك لبعض البشر عند الكدر وأما ما كان من
 أمر قبول قائلهم حملوه إلى بيت قريب على أنهم ينقلونه بعد أن
 يطيب ثم رجعت مع مرجان لتسلي السمت بدور في مصيبتها
 ونزيرها على فقد ابنتها ولما حصلت أفوهة الوادي من نهر التورير
 قابلنا كثيرا من العبيد عند المجنون الكبير فأخبرونا أن البحر
 قد ف هناك قطعا من السفينة فترأنا هناك قرأينا جثة
 البنت المسكينة وكان الرمل قد غطى نصفها ولم يبق غير الموت
 ونصفها وكانت عندها مقفولتين وشفتاهما ممتستين إنما
 تبدل ورد خديهما بأصفرار واعتري جبهتهما بعض افشمرار وكانت
 بالحالة التي رأيناها في السفينة عليم واضعة على قلبها إحدى يديها
 ضامة ثيابها باليد اليسرى حافظه صورة قبول باليد الأخرى
 لأنها كانت طاهرة أنه ان لا تفرط فيهما مادامت حية ثم ماتت على
 هذا الهدوء والتمية فترهنا من يدها مع غاية الصعوبة واندهشت
 من تلك العجوبة وأخذتني من الدمع الاختناق وبكيت مع
 مزيد الاحتراق وأما مرجان فشق جيبه ولطم خده وصاح
 بصرخ في الطريق وحده ثم حملناها إلى بيت من بيوت
 الصيادين عند بعض نساء من المساكين وقلنا لهن أن
 يغسلنه من الرمال وتزلهن على بيت أمها في الحال فلما ان
 دخلنا وجدنا السنتين جالستين وعلى الركب جاثبتين يدعوان

الله بوقار وسكينة ان ينقذه هذه السفينة فوق نظر الاست
 بدور ملي وأنا بأكى العين ذاهل العقل من صرعة البين
 فطنت لما وقع وذاب قلبها وانقطع وصاحت أين ابنتي أين
 عزيزتي أين قرة عيني وحبيبتي ثم خنقها البكاء فحن دموعها
 وأباح زفرتها وولوعها وناحت اقعدوان على ايها وهلات
 وبكت وولولت حتى وقعت مغشياً عليها فحضرنا كلنا بين
 يديها ولما افاقت أعلمنا ما بحياة قبول وان الحاكم بعلاجه
 مشغول فردت روحها اليها وضمت الاست بدور بين يديها
 وأخذت نسائها وهي عنهما مشغولة منهورة بالهم مقتولة وقضت
 ليها في تلك الحالة المهولة حتى نبت لدينا ان لا شيء من الملمات
 يعدل ملامة الامهات وكانت كلما افاقت وأعدت لمزاجها
 وراقت نظرت الى السماء بعين انكسار وتفتبرت من
 دموعها الصيون والانهار ولم يجد تعبنا شيئاً فيها حين كنا
 نسلمها كأننا لم نسبق لفنا صعبه ولم تقدم بيننا صعبه بل لازالت
 تئن أنين العليل وتشكو شكوى الذليل حتى طلع النهار
 ونزل الليل وانهار

ولما كان في الغد أحضرنا قبولاً وجاءوا به محمولا وكانت ردت
 روحه اليه الا الكلام فكان لا يقدر عليه وكنت أنظر ان يحبه
 يزيد الامهات حسره ويقضي عاين بالمره لكنه فرج عنهما

وصرف بعض ما كان قائما بهما لانه ما نزل على الارض الا
 ووقعنا عليه ضمما وأومعنا فاولتما وسمالت دموعهما
 وكان أجدهما لهم وخنقنها السكر والغم فبكى قبول معهما
 وتوجع بينهما وبعد ان خف ما بهما من ألم الصدعة وتصرف
 بعض تأثير الفجعة نزل عليهما الخشوع والسكون وظهورت
 في وجوههما علامة الموت

ثم ما أشعر بعد ذلك الا وخبر من الخا كم جاءني ورجل بتمهيز
 ورد جفنة أسرني وقال لي انها حبات وان أهالي الجزيرة
 لجنازتها كذات وانهم ذاهبون بها الى مـجد الابرار فخرجت
 معه وانارت بيت المأمور ونزلت على ميناء لوى فاذا عالم كثير
 وحرم من السكان فقير قد حضر والجنازة من كل فج عميق كانهم
 فقدوا أكبر حبيب وأمر صديق وكانت كل السفن منكسة
 السيرانات مدلية البارق والاشارات تضرب المدافع زمنا بعد
 زمن علامة على الحزن وأحاطت بالرجال العساكر كالزفاف
 حاملين بنادقهم بالآلاف ضار بين طرفي طائفتهم على طريقة
 الميائتم لاعلى وجه المواقب والمواسم

شعر

• وعلى وجوههم الكريمة غبرة •

• دلت على طول المآسف والحزن •

• وهم رجال الحرب لم يحزنهم •

• وقع السيوف ولا الاسنة في البدن •

قال وكانت ثمانية من أبكار الأكار عجم - لنعشها وترفع للموت
عرشها عليهن ثياب بيض يطاليل وفي أيديهن شئ من سيف
القتل وكان نهشها كقبة من الأنوار مكللة بالأزهار امامه
فرقة من أبناء الكتاب يقرؤون الكتاب وقد حضر لكهد
امراء الناحية ثم بعد ذلك الحاكم والخاصية

هذا ما رسم به الديوار لتشييع ورجلته وتوصيها إلى القبر
الذي هو أول درجات الجنة وبعد ان وصلوا بها إلى سفح الجبل
والناس تحمل نهشها بالقبل مروا على المنازل التي طالما أنشأها
في حياتها وملا ثمتها وحشة بعد مماتها ثم انقض عقد الموكب
ووضع النعش على الأرض كالسكوكب فصرت لا تسمع الا صويلا
وتكبيرات وتليلات ونساء يأتين من كل مكان وبنات حسان
وتحسين حسان يترامن على النعش باطراف الملبوسات
ويتبركن به تبركن بالبرازخ والمقامات ويتضرعن إلى الله
ببركنها ويتقربن إليه بواسطتها فتقول المرأة رب ارزقني
بناتاً وصفها ويتمنى الصبي عرساً في ظرفةها ولطفها ويرجو
الفقر حبيبا في صدقةها وأمانتها وتقول العبيد اللهم اجعل
موالينا في رافتها وحنانها

ولما وصلت بحلالة قدرها الى قبرها أنبل كثير من سكان
مداغشقر وعبيد موزنيق والكفر ووضعوا حولها أفواكها
ونشروا نفيس الأفتة على الأشجار المحيطة بها جريا على عاداتهم
واتباعا لأصطلاحاتهم وجاء كثير من الهندوس واحد ملابار
بأفئاص من ملبغ الاطيار فوضهوها بقربها واعتقروا ما به امن
الطير في حبها

شعر

• وهكذا الطبيب ان ذاق الدم •

• تبكى على فراقه كل الامم •

• جزاؤه على جميل صبره •

• ان نجتمع الاكوان عند قبره •

وقد اقتضى الحال ان يحيطوها بألفقر لمنع كثير من البنات ان
تنزلن معها في القبر فكم يكن ففقدوها وقلن مع الحرقه لها

شعر

• تعالى يا الله يا حبيبه •

• تفديك من هذه المصيبة •

• فكيف هذا البعد عنا •

• وانت ما بيننا قريه •

• فومي من النعش كلامنا •

• فانت ان تنطق ليبيبه •

نحبك قد قضى ولكن •
 لم يقض منا قنى نحببه •
 يا ورد جناتنا جديما •
 موزك والله ذا نحببه •
 أمس قرأنا كتاب بشر
 أمله الفاظك الغريبة
 وجاء يجرى قبول فينا
 يشمل من هوقة طيبة
 وفرض ختم الكتاب ليللا
 فلم نجد في الكتاب ربه
 واستبشر الكل ثم بقنا
 فذكر حسن الفارطيه
 وبات في الانس والهدا
 بقسم كل مناصب به
 واليوم قد جاءنا قرب
 بقطره منقاره نعبه
 فالدهر في نفسه معاب
 وليس يحتاج ان تعب

وكان دفنها في قرب مسجد الزعفران تحت ظل الخيزران في

مكان كانت تحب في حال حياتها وتريد ان تستريح فيه وهي
عائدة من زيارتها

ولما رجع الخاكم من المشهد أتى منها ورواه الحشد وأخذ
يعزى الست بدور في مصائبها ويمررها بالدراهم التي أمكنه
يجود بها وسخط كل السخط على حالتها التي هي السبب
في مصيبتها ثم دنا من قبول وشرح يسأله ببعض الأقول وقال
له اني كنت قد صدمت بسفرها ان يعتدل الحال وبذلك يعلم الله
ونشاهد ملائكته وانبياءه فصار يا ولدي للجزائر فاني موجود
لأن خدمه وعلى ان أقوم بشأن أمك في الامور المهمة ومد يد
اليه ليصافحه ويستعطفه ويسامحه ففقد بها قبول من وراه
وصرف نظره عنه كيلا يراه

وأما أنا بعد مات مقامى عندهم وأقت أيا ما بينهم لاسمهم
وأسلى قبول بقدر ما يمكنني أن أقول فلما مضى لذلك ثلاثة
أسابيع صار قبول على المشي يستطيع لكنه كلما زادت
قوته زادت همومه وشقوته حتى أصبح عديم الاحساس
سلب الفرار والاستئناس اذا سئل لا يرد جوابا وان تكلم
لا يحسن خطبا وكانت الست بدور كلما رآته تقول يا ولدي
مارأيتك الا ونصرت ورد حنة فينشق كبدى فيقشعر عند ذكر
اسمها وينفر كما تنفر الهمها ولا يصغي لقول أمه وهي تناديه

وتدعوه لما كان فيه بل ويفر من كل مكان ولا يأوى الا الى البستان
فيظلل متفكرا في ورد الجنة جالسا تحت شجرتها شاخصا الى
فسقبتها وقد اوصى الحكيم الذي اهتم بجمع الجته ان لا يتعرض
لما احدث في ارادته وقال لا ينقذه من داء الميليا خوليا الذي اعتراه
لان يترك على هواه

ان قد اتبعت نصيحة الحكيم وعرفت ان ذوقه سليم فلما
احس قبول رجوع قوته وكمال عافيته فرمى البيت فرار
الآبق وكنت أنظره على البعد نظرا لومق فقلت لمرجان ان
يحضر شيئا من الماء كول وان يتبعني وقبول فرأيت نزل من
الجبل واشتد جسمه وعليه السرور دخل ثم انحدر الى طريق
المسجد جهة الخيزران والتفت وراءه فلم ير انسان فوق غير
بعيد من قطعة أرض تراها جديد وتوضأ من العين وصلى
هناك ركعتين ثم دعا ربه وأطال الدعاء وجثا على ركبتيه
خشوعا وتضرعا فاطمئن قلبي لما رأيته على تلك الحالة وقلت
ان النطوع من العقل لا محالة وانه رد ادراكه اليه منذ ظهرت
علامات صلاح عليه فقلنا ناومر جارا نعالنا وتوضينا
ثم نؤيننا هناك وصلينا وبعد ذلك أخذ يسير الى شمال الجزيرة
وهو في هدوء من الحيرة ولم ياتفت مع ذلك اليقنا ولا التي بصره
عليهنا وكنت اعلم انه لا يدري أين دفنت ورد الجنة ونوارت

وهل طلعت من البحر أو غارت فسأله لا شيء صليت تحت
 عبدان الخيزران فقال لا أنا كنا نجتمع كثيرا في هذا المكان
 ثم استمر في طريقه مع القوة والصلابة إلى أن وصل إلى باب
 الغاية وهناك جن طيننا اللبيل ومد منا القوى والخييل
 فأكلت أمامه لبنا كل مثل فأك كل ونمت تحت شجرة فكذلك
 فعل ولما أصبح اليوم ظننت أنه يرجع أسكنه بقي جهة
 الخيزران منطلق ثم مشى قليلا كأنه يريد الرجوع لكنه توغل
 في الغابة مع الهلوع فعرفت قصده ولم أقدر أن أزخره عنه
 ولا أبعد منه حتى وصل وقت الظهر إلى أرض المذهب فقصده
 البحر وذهب منه إلى المكان الذي غرقت فيه السفينة من
 تلك المينة فرأى البحر أسكن من مرآة فصاح آه آه وأعزيتاه
 وأورد جنتاه ثم وقع مغشيا عليه فنقدمنا إليه وحملناه
 إلى الغاية إلى أن أفان ووجد صوابه ولما أفان أراد الرجوع
 إلى شاطئ البحر فمنا وتداخنا عليه ورجونا فرجع عن
 مشروعه الأول وبدل ما كان عليه وتحول وما زال يدور مع
 الهيام مدة ثمانية أيام حتى طاف بالبحر لالت التي كان فيها
 مع ربيبته ومربا الخادع التي رأى فيها وجه حبيبته وما جاس
 لامن فرط تعب وشدة ما اعتراه من ظمائه وسفبه وكما انظر
 شيئا من تلك الحال التي كانت تذكره بما جرى معه من

الاحوال كالعاب والاكل سوبه وكالنهير الاسود الذي مر
 عليه في البريه والقطع التي كانت ترقص فيها معه في ايام صفاه
 والبقع التي كانت تنفي فيها على قيدا الحياه ا— بل دمويه
 واضرم ولوعه وصاح آه آه واورد جنتاه وامر يزناه
 وما زال على هذه الحالة الموحشه والاضطرابات المدهشه حتى
 اغورت عيناه وتذبلت وجنتاه واخذت صحته في الانحلال
 وهفارونقه وزال فلما رأيت ان الافكار فيها اتلاف وانه
 يلزمه البعد عنها والاعتكاف بدالى ان انقـ له في قطعه من
 الجزيرة تكون له عليه مبعده لهم منسيه وزلات به ارضا
 في الجزيرة لم يكن بأتبها وطول عمره ما خطر فيها وكانت
 بها حركة الزراعة جسيمة ونزوة التجارة عظيمة فن تجارين
 ينشرون أخشابا وفلاحين يحملون حصائد وأمشابا وعربان
 ذاهبه وأخرى على الطريق آية ومراع للانعام ومراح
 للاغنام وسكان في الخلام منتشرة هنا خمسة وهناك عشرة
 ولما لو الارض كانت الزراعة ممكنة للامم المتعددة فيكم من
 حصائد في الخيلوات وأشجار في الغابات وورود بانعه
 وأزهار طالعيه وليكثر الزرع طرى الهوى وطابت للناس
 البيض هناك المأوى فظننت ان قبول اذا أقام به هذه المحلات
 يسمى ذكرا فانت اذا البهر من هناك لا ينظر والميناء والاماكن

التي حولها لا تظهر وان الجبال الممتدة من طرف مينا لوى
لا يظهر منها من جهة الهراشي الا بعض رؤس شاهقه
وصفحات متفرقة وكان مجيئي يقول في هذه الموضع ومواني
اياد في تلك المنازل والمطالع قصدا بان اشئت اذكاره وازيل
تولعه وتذكاره وان يترك ما في ياله ويبيعد ذكر ورد جنة
عن باباله لكن العاشق يرى أثره شوقه في سائر المخلوقات
ولا يزال يذكره على عدد الاوقات

شعر

• تراه ان غاب عني كل جارية •

• في كل معنى لطيف رائق بهج •

• في نعمة العود والغاي الرخم اذا •

• نألفا بين الحان من الهزج •

فكان لا يفتر عن وردها ولا يرى جنة الا في دردها كبحر
الغنا طيس اذا مس الابرّة علقها وأن رآها عانقها وهي تدور
معه حيث دار وتسير كيف ما سار فقلت له ونحن في صحاري
وليان الى أين تشوجه الآن فالتفت جهة الشمال وقال ها هي
جمالنا والمروج التي عليها فهل لان ترجع بنا اليها
قال فرأيت ان ما فعلته لم يجدي فيه نفعا ولم يعمل لديه خفضا ولا
رذعا فلم يبق علي الا ان أحكي معه في عشقه وان آتبه من باب

شوقه فاستعملت ما قدرت عليه من البرهان القاطع واتخذت
له الدليل الساطع وقلت له نعم هذه هي الجبال التي كانت ودرجته
تسكنها وتلك هي المحال التي كانت تسكنها وهناك الصورة
التي كنت أعطينها لها برمتها فاني وجدت بها على رمتها فأنسيبتك
في حياتها ولا بد مما أتت فلما انظر هذه الصورة مديدة اليها
والتي بنفسه عليها وضمها الى قلبه رفته منظره رابعه
ما اصفه من تبسمه ثم حن واشتكى واختنق بالمكي فقلت له
يا ولدي اسمع لما أقول ولو كان عن فضول فاني محبكم وطالما
كنت معكم فالكما وأنا الذي فطنتك وهذبتك وعلمتك
وأدبتك ووردتك المصائب ومررتك على حملى النوائب
فعلى م هذا الا كتب وطول الانتصاب أنبكي على نفسك أم
تبكي على فقد هرسك فان كان بكائك على مصيبتك فهي نازلة
عظيمة ومامة أليمة لانك فقدت أحسن البنات خلقا
وخلقاً وأجملهن فعلا ونطقاً لقد كانت والله تفضلك على
نفسها وترفع مقامك فوق رأسها وتؤثرك على ثروتها وما كانت
ترجوه من خالتها وتعتقد انك من أكفائها بل من موالها
وأوليائها لكن ما أدراك ان ما كنت تطمع فيه من المادة
لديها ربما كان وخيم العواقب عليك وعليها فانها كانت
فقيرة مجردة مخرجة من ارض خالتها مبعده ولم يكن لها شيء

تعيش منه الا كدك وعرق جبينك وجهك ولا يخفك انها
 تربت في الرفاهية واعتادت على العيشة الواسية فلا شك انها
 على حرارة طبيعتها وشدة حبها فيك وتولعها كانت اذا رأتك في كد
 تساعدك في الاشغال وتمقت نفسها في الاعمال فان رزقت
 منها بذرية فقد تمت الرزية اذ كان لا يمكنها ان تخدم اولادها
 وتخدم أمك وأمها فان قلت ان لها كم كان يساعدها وبشي
 يحدها فان وما أدراك انه كان ينتقل الى بلده وبأنيك رجل
 لتيم من بعده وربما احتاجت زوجتك الى رجائه فيستميلها
 بمكره ودهائه فان مالت اليه ملكت وان عرت نفسه هاضه
 أدلتك فان ذات

شعر

كفاني من الدنيا حبيب واتني

• لا كفله رغم النوى والنوازل

• فاشكوله طوراً وشكوالذي يرى

• وان كلانا بالاذى غير هازل

فان صدقت لك اتهامات وانقضت أيامها وفات ولم يبق لك
 بعدها لا أمك وأمها ولقد كانتا صيرتني عندها وانك
 بغيرك هذا تفردت الى القبر فاصبر فلاحيلة الا في الصبر واصرف
 حيتك في خدمتهما كما صرفت وردجة حياتها في مساعدتهما

فان أحياء المرفوعة هو عين السعادة وأعلامنازل الخبر وزباده
وان متاع الدنيا محصور في اللهو والغنا والتفاخر الذي عاقبته
الفنا وأنت تعلم ان خطوة الطاب الغنا واحد قد أوقفتماني
خضيبض ما أبعد واني وان كنت لم أرض لها بذلك في أوائل
الامر ولم أعنها على السفر الا انه ربما كانت عاقبته امصلاحا
لشأنك وشأنها سيما وان خالقتها كانت طابتها في أواخر سننها
وان الخماكم قد أضح في ذلك وأطرب وما من أحد الا رأيه
استصوب مع ان ذلك كان نهيبه لاسباب البلية فهذه
لا شك حكمه الهيبه والمكان لا بد منه والمقدور لا مفر منه
وقد قيل

شعر

• اذا كان عون الله لا عبد مـ عفا •

• يـ عون له من كل شيء مراده •

• وان لم يكن عون من الله للفتى •

• فاول ما يجنى عليه اجتهاده •

هذا وان كان الا وفق عدم مطاوعة أمرهم والحذر من خداعهم
ومكرهم الا ان العالم على اختلاف بضايههم وتفرق حرفهم
ومصنائههم لا بد لكل ان يفقد أعز ما عنده سواء كان
حبيبه أو قريبه أو ولده وأغلبهم بعد الفقد يقول يا ليت ما كنت

فعلات ويا ليت ما فسررت فيه وما أهمات وما علموا قول
ليبد وشعره المفيد

شعر

- الا كل شيء ما خلا الله باطل
- وكل نعم - يم لا محالة زائل
- وكل ابن أنثى لو تطاول عمره
- الى الغاية القصوى والموت آيل
- وكل أناث سرف تطهر بينهم
- دو بهية تصفر منها الانامل

وأما أنت فلو اخترت سريرتك وقرأت سبب نك لما رأيت
فيك عيبا بلام ولوجدت عندك أخلاق الشبع على سن
الغلام وكم لك على ورد جنه حقوق بينه لا تحتاج الى برهان
ولا بينه فوتم الا بخل فيك ولا تبذير ولا شبع ولا نفقة - ير ولم
يكن لك فيه جنه اذ جعله الله على يد خالته الشقية فتبارك من
الصورك وأنشاك وحلاك بمعرفته ووشاك فمعهكم
البالغ ونعمه السابغ تأبى ان تندم على ذنوبها أو تعترض
على ما قسم الحظ لها فانه قد رعاها ذلك من يوم ولدت بل من
ساعة ما صورت في رحم أمها ووجدت وان العيش صرح
والموت له شرافه والمذون كأس والخاس له رشافه بدور على

القبض على المبيع وبفئتك بالملوك والممالك ويهبط
بالملوك والممالك

شمر

وما الدهر الا منحنونا باهله

وما صاحب الحاجات الا معذبا

فاحمد الله على انها ماتت قبلك وقبل أمها أعنى انها لم تمت
مرتين ولم تكويجمرتين فانها ان كانت ماتت بعد كذا فلا شك
انها كانت تبيكيكما وكانت هزله الموتى الاولى وموتنها
تكون الموتى الاخرى على ان الموت للحياة كالليل لليوم العيوس
فن نام به فقد دارت اح من اليوس وانك اذا وقفت على حقائق
الاغتنبا ومعاش الامراء والادعياء وجدتهم في الحقيقة
لا يملكون غير صفة مغبون فان لهم على ظهورهم مصائب
باطنية وفي نظير ما عندهم من الثروة أفات صحية وان أحببهم
أحباب أموالهم وطلابهم على قدر نوالهم فاذا انتفى عيشهم
الذي صرف على منافع غيرهم وعافهم الموت عن سيرهم لم يحضرهم
غير قريب ملتمس أو منافق مخدس وأما ورد الجنة فانها عاشت
سعيدة وماتت شهيدة وانها تمت بيمينها بملك الحيران
الطبيعية وماتت محافظة على السعادة الأبدية لانها لما نظرت
الى القوم وهم متلهفون عليها ورأتك وانت ساجد الجسار البها

ثبت عندها أنها كانت محببة للعالم وان الشعب عليه امة موم
مغموم فاطلها الله على برائة ساحتها وان خلاص ذمتها
فانصرفت ان يمن عليه بابا بجزاء الاوفى وان بحشرها مع عباده
الذين اصطفى قالهم بها الصبر عند الحماح حتى انها قابلت
الموت بابتسام

واعلم يا ولدي ان الله مبتل لاحيائه مهمل بالموت لاخلائه لاهله
تعالى ان ايس بقدر على حمل ذلك سواهم وانه مشبههم في الآخرة
ومحزل عظامهم فن اراد به الخير اصطفاه وعجل له بالوفاء ليكون
لغيره في التبع له قدوه ولمن اراد ان يتأسى أحسن اوده ثم يهمل
له في الدنيا جزاءه بان من تفكر فيه بعد موته بكاه ثم يخلد ذكره
بين الامم الآتية والذراى التالية حتى تنقرض الملوك وذكره
لم يرل وتبقى الدنيا وهو باق الى الازل

وان ورد جنة في حيز الوجود لا العدم وانما نقات من عالم الى عالم
واخرجت من دار الفنا والشقا الى دار النعيم والبقا فان من
خالقها من آدم قادر على ان يحيي العظام وهي رميم فسبحانه
دات مخلوقاته على وجوده وشهدت خبراته بجموده ووده فمن
الذكره فقد كفر وضل في زاد انفر وحاشا ان يترك ورد جنة
وان لا يجعل أقل ثوابها الجنة اجل انه خالقها وحسن خالقها
وحافظها وكان يدر على نجاتها من الفرق وحفظها من الحرق

والشرق الا انه تعالى اختارها لنفسه فقرر بها من حضرة قدسه
 وثالوثا كندا ونحن في عالم الذر ان نقف على الخبر ونعلم كيف
 خلقنا وبأى وجه قدر ارزاقنا او انما من يوم اخرجنا من العدم
 الى هذا الوجود الا هم اردنا الوقوف بعد الموت على قرار ايماننا
 الى الجنة ايماننا الى نار لما عند ربنا لا مراد ولا علمنا ما الله بنا اراد
 لكن اقرار الدهر بين في ذلك محض اقاويل ومجرد اباطيل
 ومن زعم انها ارحام تدفع وارض تبلى فقد طغى وبقي واشعل
 في الزندقة نار الوغى فان ايجادنا تعالى لنا منزلة عن الاضطرار
 وحاشا ان بعد مشايوجه الاحتمار وان يكون وجودنا في الارض
 لمجرد هوى نفساني أو رأى انساني فانه ليس في البحر من
 فطرة الاوفياء اشباح وحيوانات ذوات ارواح وكلها لنا
 مدخر ولنا فاعنا من مخره وان ما في الكواكب من انوار
 وحركات وادوار ما خلق الا لنافعا من متاجرنا وضرارنا
 وجميع الخيرات الالهية ومبارته القدرة الازلية فهو لخدمتنا
 مسخر ولولانا لما تقدم ولا تأخر لكننا مع هذا شتم الانوف
 أقربا الكفوف لولا أن ساط الله علينا الضعف وحكم علينا
 بالخشع لطغيتنا فوق الارض وما اندفع البعض منا عن البعض
 شعر

وهذه حكمة مولا حكيم • وجل تقدير عزيز عالم

سئل من الموت لنا صار ما • فاصبحت ابامنا كاهن رجم
 ثم ابتلى الصالح من بيننا • بمقت عبث وعذاب ألم
 واختاره لاشك من بعد ذا • لنعم دار ونعيم مقسم
 فورد الجنة اذا في دار السعادة • ومنازل بها الحسنى وزيادة
 لو اذن لها بالخروج من مقام الاملاك • ورخص لها في ان تراك
 لك انت بلا شك تذاجي بك وتودعك ومي تناديك وتقول لك
 يا قبول ان الحياة الدنيا اربلا • ومحمل اختبار وابتهلا واني
 احضت وفاء المدة واختصت في المودة • وجبت البهار رضا
 لحاظ طرا هلى وما رضيت بالغنى حفظ العهدى معك وقولى
 فهانت على الوفاء وتخاصمت من قيد تلك الحياة • والقيت نفسى
 غير آئمة ومنيت بحسن الخاتمة • وفدارا حنى الله على المدوام
 من تصرف الدهر وتقلب الايام • وما عاد الفقر ولا التجمعة
 يتقربانى ولا ارى هول البحر ولا هول البحر يرانى وحالى
 لا يرئى اليه فلا تأسف يا قبول عليه • فاني صرت خالصة
 صافية مغمورة فى العفو والعمامة • لا يغبرنى مغبر ولا يكدرنى
 مكدر كالنور والانور والسما والافر • فلا تدعنى للرجوع الى
 ظلمة الحياه فاني فى حال كل من علم ايتمهناه ان ذكر يا قبول
 تلك الايام الخالية والاورقات الخالية • حيث كنا نقوم سوية
 فى اوقات الصبح الهنيه • فتذوق لذة شروق الشمس على

رؤس الجبال وانشأراشعتها على الغابات والرمال اما كان
 يقوم بنا من ذلك هيام لا يكيف وطرب لا يجحد ولا يوصف
 وكننا من كثرة اهمنا وشدة شغفنا نود لو اننا عبون بمصره
 لنتمتع بانوار الفجر وهي مسغره او اننا انوف ومن آخر لنخطى
 بشم رواج البيت الفاخر او كننا سامع متعده النفوس باستماع
 الطيور المغرده او كننا فلوب عامره لنقوم لله بشكر خيراته
 الوافره فها روي الان على منبع نهر الحاسن الذي منه
 تستمد الارض وما فيها من المساكن نذوق وتسامع ونتمس
 مباشره ما ليس الارض وما عليها ان تصل اليه الا بحواس غير
 قادره واني للقلب واللسان ان بقدر اهل وصف هذه الجنان
 اوبصحا عما خلقه الله لملأ الصابرين واعد له نعيمه كثير من
 عباد الصالحين عما اراه كل لمح محبلى على ويزاد بهجه بين
 يدي فتجد يا قبول لما نايك واصبر يا اخي على ما اصابك لنفوز
 هناك بقربي وتتمتع على الدوام بحبي ثم ارضى عنك واتقرب
 منك واطفئ ولوعك وامسح لك دموعك نهب نفسك لنفسى
 بين عليك الم ساعه ونخطى بوصلى الى ان تقوم الساعه

قال وكانت نهاية قولي ان اخذتني حدة الكلام وأدركتني شدة
 الطرب والهيام فازهر لي عقلي وبيت وأمسك لسانى فسكت
 واما قبول فانه احدث الى بعينيه وصاح وهو يضرب بيديه

وبقول

شعر

نفسى قدمنى من حقا • أى والله قدمنى حقا

ثم انه أخضع عينيه وسقط على الارض مغشياً عليه ولما ان
 أفانى قال حيث ان ورد جنة هي الان فى الجنة وان الموت
 هو الوصول اليها فلا بد ان أموت من الأسف عليها وكأن
 أفوالى التى ذكرتها وبرايمنى التى أرودتها لم تنزل عنده
 بمكان ولم يتأثر منها بأى شئ كان وبقي حتى استولى عليه الحزن
 وتسلطن الداء على البدن ولم يكن رأى مصيبة قبل اليوم كانت
 تنفقه وتزبل ما حدث به وتدفعه الا انه سلب القرار وعدم
 الاصطبار فبئست من حالته وذهبت به الى أمه وخالته
 ولما دخلت به وجدت أمه وأم حبيبة قد أودى بهما الهزال
 واضمحلال من القم كل الاضمحلال فعلمت ان من كان فى طبعه
 حده لا يقدر على ان يتحمل الشدة

ثم قالت لى أمه انها رأت ورد جنة فى المنام وانها فى غاية من
 الترفه والانتظام وحوالها النمد والبان والاس والريحان
 وذكرتها انها فى خيرات يرحل اليها ولذات بحسد المرء
 عليها ثم دنت من قبول بائسها وأخذته معها من غير كلام
 قالت فاردت ان أزرعه من يدها فارتفعت من الارض ولحقت

بها وتبعتهوا وأنا فرحه مبتهجة من شرحه فاردت ان اودع
 امها فرائنها على اثرى مقبله ورايت وراها مرجان مهرولا
 ومريم مهروله واعجب من هذه الامور ان هذا المذام رآته
 بمنه الست بدور فقلت لها خيرا ان شاء الله ولا يحصل
 في السكون شيء الا باذن الله ولما توجهت عند الست بدور فقصت
 على منام امه كانت رآته مع اقصى وان في ليلة فدهشت من
 توافق تلك الاحلام وادعت بنجردها من فاسد الاحلام
 هذا والى عندي في الحقيقة انى اعتقد في المنام واثبت
 تصديقه وقد اجمع سكان الارض على ان الحق يرى في المنام
 واكبر الفلاسفة ومشاهير الرجال كانوا يعتقدون في الاحلام
 كالاسكندر وقيصر وفلاسفة اليونان وغيرهم من ملوك الرومان
 ولا شك ان عقول هؤلاء كانت عظيمة وان ادواقهم كانت سليمة
 ولقد شهدت الكتب السماوية بصحتها وصدقت بكلماتها
 واما انا فلا حاجة لى لذكر دليل غير ما جرت فيكم رؤيا رايت
 وعنها اعربت فعملت بوقوعها انها وحى للمصالحين من رب
 العالمين فمن اراد ان ينقض ذلك بدليله فقد سمى في تضليله
 واستحال عليه البيان واغلق دونه باب الامكان لانا نقول
 ان الرجل ان كان بعيدا عن دار أبيه أو افترق عن أخيه يمكنه
 ان يطمئن خاطره بالمراسلة أو يكتبه في أمر عن له فليس من

الجبب على صاحب القدرة والارادة ان يرسل بالاحلام عباده
وهو لا شك منزله من اتخاذ آلهة محسوسة فينفذ بها ارادته فلا
غرو ان كانت الرؤيا من بعض الاله هذا ولاي شئ نشك في
الاحلام مع ان الدنيا ليست الا كمنام لانها فانية والحلم
فاني وأمورها واهية والمنام واهي وعلى كل فقد يتحقق منام
المرأتين ووقع مثل رؤيا العين اذ ماتت قبول بشهر بعد
ورددته وجمعه الله بها في الجنة وكان رحمه الله لا يزال ينفذ
بذكرها حتى دفنوه جنب قبرها ثم ماتت افعوان بعد انبها
بثمانية ايام وقابلت الموت بسام وقالت وهي تودع الست
بدور كلاما تبين له الصغور وتنشق له الافئدة والصدور

شعر

في جنة اللذات يكون الملتقى • فانه ادار النعيم والبقا
والموت لا شك أعز منة • يطلم اعبد لمولاه تقا
والعيش ان كان مباحا يشتهي • آخرة ليكل من تحقفا
وان يكن محض ابتلا في كلنا • نطلبه عيشا فصر اضرافا
ولما تقطع حبل المائلين وتصرم • قام الحاكيم بامور ورجان
وسريم فانه ما صار اعدى المنفعة • بعد ان كثافي الخدمة
كاربعه ولم يعيش ازمنا طويلا بعد اسبادهما • ومات الكلب
جوعا من بعدهما فاخذت الست بدور في منزلي وهي من الصبر

في مكان على وكانت في أوائل المصيبة شديدة الاضطراب شريفة
النفس عالية المقدار وطالماسات قبول وجلدته وقوته
بالقول وايدته وعللت أمه اقموان الى ان مات الاثنان
ولم تمش بعدهم الا شهرا ثم ماتت غما وفهرا

واما خالتها فانها وقعت بعده في شرك الدم ونكبات في قيود
الدم على ما فعلت معها ومع ابنتها من الامن ان وارنكيت
فيهما امورا تخل بشرف الانسان فجل الله لها في الدنيا بالعقاب
وختم لها بالسوء والعذاب

وجعل قبر قبول مجاور القبر وردجته وقبور امهم او خادميها
حواليها وما وضعت عليهم برازخ من رخام ولا نقشت عليهم
كلمات تليق باخلاصهم الكرام ومع ذلك فلا زال ذكرهم في قلوب
من احسنوا اليهم مخلصا واسمهم في معالم الجزيرة محفوظا مفيدا
كان ارواحهم التي نجات بالزهد في الدنيا لا تميل الى زخارف
الاخرى وانه لو امكنهم ان يسبحوا في الارض بعد موتهم او رخص
لهم ان يرجعوا الى بينهم لما تخيروا الاماكن الفخرا والمساكن
وانتخبوا معا كنف المنقطعين ليسعوا في تسليفة من اسائه الزمان
وتقوية من عشق من الشيطان وترغب الناس في الخيبرات
الطبيعية والمحصلات الصناعية وتغفر النساء والرجال
من الاتهمالك في طلب الاموال

فيا معشر الشبان القضاة وأهل الفتوة المؤتلفين وبأبها
 الامهات المساكين وبأفرادها تبين العمانتين اجمعين ان
 هذه الاشعار التي كانت تطلبكم وتلك العيون التي كانت
 تنحري لکم والمعا كف التي كنتم عاكفين عليها والمخارج
 التي كنتم ترثا حون اليها أصبحت على فخذكم باكية وامست
 بعدكم موحشة خالية فلا يستطيع أحد بعدكم ان يفتح ارضكم
 أو يسكن بينكم حتى ان معركم نفرت وظهوركم فرت
 وبساتينكم اففرت وهاتبا بعدكم قد ازداده وابعدكم
 أولاده وسابح في الارض الى الابد لم يجتمع بعدكم فيها
 على أحد

ولما ان ختم الشيخ بذلك القول فنهض قائما أخذ هراجه واستند
 على يدها وانكمى وتركنى وبكى وغادرنى ودموعى تسيل
 وكم بكيت وهو يلقي على هذا الحديث الجليل

قد تم هذا الكتاب طبعاً وراق حسناً ورق طبعاً
 ومنه قد ازدهرت رباغش شدا عليها الحمام سجوا
 وذلك بالمطبعة الوطنية بمصر المحمية في اوائل الحجة سنة ١٢٨٨
 من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آل واصحابه الكرام

أما بعد حمد الله على الأئمة والصلاة والسلام على ناظم عقد لوائه
فيقول الفقير محمد فديري والمذنب صاحب المطبعة التي تم بها حسن
طبع هذا الكتاب النفيس قد اطاعت على هذا الحديث
بلغة الفرنسيين فالقته أحلى من الضرب وادعى من الإحسان
إلى الطرب جامع الفنون الأدب يشتقي به الغليل ويصح ضراح
العليل حديث بذكر اليهود والمودة ويطلع في جنة الوفاء
ورده تدور بكؤوس محاسنه الشمول ويأخذ القلب بابتهاج
وقبول وقد ترجم إلى جميع اللغات الأورباوية لما فيه من
الآداب والأنواع البديعية ولم أر له ترجمة عربية أحلى من
ترجمة نادرة دهره وغرة وجهه عصره رفیق حواشي الطباع
طويل الباع في فن الاختراع ناظم ما انتثر من المائر ناشر لواء
الحامد والمفاخر جامع أوصاف الكمال محمد افندي عثمان
جلال حامل علم الجدا الآن ديوان الجهادية حائر قصب
السبق في ترجمة الكتب العسكريه صاحب العيون البواقظ
والحكم والمواعظ والتأليف العديدة والتصانيف المفيدة
ومبلغ القول في هذا العلم الشهير انه غريب في فضله ومجده وانه
أوفى من فنون الأدب ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ولا جيل
الاطلاع على فضائله والوقوف على حميد شمائله أوردت
هنا رسالته التي تخفى بها راسما فيها نفسه وأوصافه الحسنة

والمعنوية وهي هذه

اتريد ايها الاديب الاربب والالهي اللبيب ان ارسم لك
صورة بعض أحيائك وان ارسل اليك نسخة من أصل واحد
أحيائك اما ظاهر تلك الصورة فليس فيه شيء ياخذ
انه لا ينقر فكذلك لا يلد يعرف كيف ينوع نفسه ولا يعرف
كيف يروج به نفسه يشكر لمن استغفنه تشكره للاحسان
فان احرم منه ظاماسلى نفسه على ذلك الحرمان ان جالس مع
من لا يريد سكت وان جالس محبا تكلم ونسكت ان تكلم
عرف كيف لا سكوت يلزم وان سكت عرف كيف يتكلم
وان تكلم غيره اوسع سمعا ووجد فيما يقوله نفعا فان رأى
نقصا في عقل المتكلم غض عنه ما لم ير في نفسه انه أعظم منه
ظاهرة خامل منجم وباطنه مشتعل متوقد وهو على ما يجب
عليه من الكسل والميل الى عدم العمل يرى في نفسه منه
كثر ما تهب من غزارته ومستودع طامات خبير من كثرته
طبيعته يشبه للفن وقته يشبه للطبيعي وذلك لما فيه من استقامة
المعنى وانتظامه وسهولة اللفظ ورقة انسجامه فان زبد على
ما كتب كان غير لازم أو حذف منه لمكان الحذف بغير جازم
والخاص ان صاحبه لو امكنه ان يعتمد على كثرة العمل وان
يعب من الفرق في بحر الكسل وكانت حافظته لم تتخذه بالغيب

لكان أحسن من ذلك ولا يكن لم يخجل امرء من عيب
 وأما باطنه فاهل لان يهدا اليك وان يقدم بين يديك فانه
 لا يريد ان يختص من الخير بذيله الا ليكون على مقدرة من فعله
 أو يقدر على جبر أحبابه فان صنعوا معه خيرا أتاهم بالشكر
 من بابيه تكليفه الغير لنفسه يوجب الزعاجه فاذا احتاج
 لا يسأل الا نفسه الصبر على تلك الحاجة وهو على فصاحته على
 عند السؤال يرى ان المجد المكتسب بالتحسنة ليس من شأن
 الرجال لا يحتاج أحد في قوله ولا يملق أحد الطول به بتنقن المدح
 ولا بمدح غيره ومادح أحد اقط وكان في غير أهله
 وأما طمعه فليس مما يوجب التعب حتى يصل الى ما يطلب
 بل اقتصا في الرزق لئلا ما يستحق لا بقصد اقرب الطرق
 واستخفها بل ابعدا واشرفها فان احرم من أرزاقه كفاد ان
 الناس تعلم باستحقاقه بل اذ بهما فيه من الشرف والعفة ولا
 يكدر غيرة على ما يعتريه من فطاعة الكبر والانه من رفع
 قدره تواضع له والطرق ومن وضعه تكبر وتمزق

شعر

الا لا يجهاز أحد علينا ففجهل فوق جهل الجاهلينا
 عدد احبابه كعدد الاخلاق لبل لان وجود الخلل بعد من
 المستحيل بكثرة التهمى في اختيارهم بعد طول اختيارهم لا يختفى

عليهم انقطاعا لعدم كثرتهم ولا يخاف فيهم ضياعا لقلانهم ومنى
 فلوا كثرا لحرص عليهم وحسن التودد اليهم فتراه معهم ثملا
 بغير مدام عافلا بغير احتشام مؤلفا بغير فضول ولا تكلف
 منبسطا بغير سفة ولا تعسف وهذا هو عيش من يزداد مع محبيه
 معه ويرجو ان يكون كذلك عيش محبيه معه